حمامات بيضاء

وأوزات سمراء

مختارات من أعمال روبين داريو

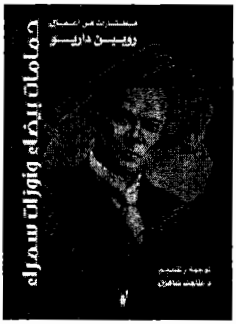

حمامات بيضاء وأوزات سمراء

تأليف:
روبين داريو
ترجمة:
د. طلعت شاهين
الطبعة الأولى:
٢٠١١م

رقم الإيداع:
١٩٧٢٤/ ٢٠١٠

الترقيم الدولى: I.S.B.N.
977-5634-25-3
حقوق الطبع محفوظة

تصميم وتنفيذ الغلاف:
كامل جرافيكس

EDITORIAL HISPANA-EGIPCIA
SANABEL

الاشراف العام :
د. طلعت شاهين

Mob.:
(+20) 12 410 20 08

سنابل للكتاب

٥ شارع صبرى أبو علم - باب اللوق القاهرة

(+202) 2 393 56 56
(+202) 2 392 65 93

e-mail.:
sanabooks@maktoob.com
www.sanabil.net

حمامات بيضاء
وأوزات سمراء

مختارات من أعمال روبين داريو

ترجمة وتقديم:
د. طلعت شاهين

روبين داريو...

رائد الحداثة في أدب أمريكا اللاتينية

يعتبر الشاعر والكاتب المولود في نيكاراجوا عام 1867 "روبين داريو" أهم شخصية في أدب أمريكا اللاتينية المعاصر، حيث يعتبره النقاد والباحثون الأب الروحي لحركة الحداثة "الموديرنيزمو El Modernismo" ، التي كان كتابه "أزرق" الصادر عام 1888 إنجيلها ونموذجها الأدبي الرائع، وبفضل كتاباته وتأثراتها انتقل هذا الأدب مع نهايات القرن التاسع عشر من "أدب الهامش" بالنسبة للآداب المكتوبة باللغة الأسبانية التي كان مركزها في ذلك الوقت ومنذ فتح كريستوفر كولومبس للعالم الجديد عام 1492 العاصمة مدريد، ليكون أدب المركز المكتوب في تلك اللغة، ويعتبر العام 1888 الذي أصدر فيه روبين داريو "أزرق" الذي حوى مجموعة من النصوص الشعرية والنثرية نقطة

تحول مهمة في تاريخ الآداب المكتوبة باللغة الأسبانية، ليس فقط في أمريكا اللاتينية بل وانعكس تأثيره على الأدب المكتوب في الوطن الأم لهذه اللغة "أسبانيا"، وبصدوره تحول الهامش الأمريكي اللاتيني إلى المركز وتراجعت أسبانيا لتصبح تابعة لهذا المركز اللغوي والأدبي الجديد.

بفضل هذا الكتاب "أزرق" تحول الأدب الأمريكي اللاتيني من تقليد لما كان يأتي من أسبانيا إلى التأثير في كُتاب أسبانيا أنفسهم، وإخراجهم من السكون الذي وصلوا إليه بعد أن بدأت الإمبراطورية الأسبانية تغرب عنها الشمس، وتتآكل ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا وعسكريا باستقلال مستعمراتها السابقة في العالم الجديد، وتآكل نفوذها هناك على اثر الهجوم الشرس الذي مارسته القوى الاستعمارية الأخرى: بريطانيا وفرنسا بحثا عن موضع قدم في تلك المناطق، إضافة إلى ظهور الأطماع الاستعمارية لدى القوة الجديدة الصاعدة في تلك المنطقة، الولايات المتحدة الأمريكية، التي بدأت تدرك أهمية فرض نفوذها في تلك المناطق المجاورة لها لتنطلق منها إلى فرض نفوذها عالميا فيما بعد، كوريثة للاستعمار القديم الذي أخذ هو الآخر في الانهيار بعد الحربين العالميتين.

ولد روبين داريو عام 1867 بمدينة "ميتابا" (نيكاراجوا) بعد أكثر قليلا من عام واحد من زواج والده مانويل جارثيا من أمه روسا ساراميتو، وهو زواج دام قليلا، فقد قررت من طرف

واحد الأم الانفصال عن زوجها بسبب إدمانه على الخمر ولا مبالاته بالحياة الزوجية، ورغم أن ميلاده جاء ليدفع الأب إلى محاولة إعادة بناء أسرته، إلا إن الأم سرعان ما انفصلت مجددا وتركت بيت الأسرة لتعيش مع عمة لها كانت تقيم في مدينة "ليون"، وعندما ارتبطت الأم مجددا برجل آخر ذهبت معه للإقامة بمدينة "سان ماركوس" التي تقع في الهندوراس الحالية، وتركت الابن في رعاية العمة وزوجها الكولونيل فيليكس راميريث مادريخيل.

ما أن بدأ روبين داريو يعي ويخرج من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الصبا حتى انتقل إلى مدينة "ليون" في نيكاراجوا ليدرس في معهد "اوكسدنتي" (الغرب) ويلتقي هناك بأستاذ الأدب " خوسيه ليونارد" القادم من بولندا مهاجرا من بلاده لأسباب سياسية، والذي كان أول من تنبه إلى ميوله نحو الأدب، ثم بعد إكمال المرحلة الأولى من دراسته حتى حاول العمل في مجالات شتى، ولكن نبوغه الأدبي المبكر رشحه للعمل محررا بإحدى الصحف المحلية، وظل يتنقل من عمل إلى آخر إلى أن أتيحت له الفرصة للسفر إلى عدد من دول أمريكا اللاتينية مثل الأرجنتين والتشيلي وكولومبيا، قبل أن تتاح له فرصة ذهبية للسفر إلى أوروبا، وتحديدا فرنسا حيث تعرف في باريس على مالارميه وفيرلين وغيرهما من الشعراء الغنائيين الفرنسيين، قام بكل هذا في وقت قصير جدا وسرعان ما عاد إلى بلاده ليعمل في المكتبة

الوطنية لنيكاراجوا، ولكنه لم يتخل عن هوايته في دراسة الأدب الأسباني الكلاسيكي، والتعرف على إبداع كبار كتاب اللغات الأجنبية الأخرى، وكان معجبا بشكل خاص بإبداعات الفرنسي فيكتور هوجو، والذي كثيرا ما بدت تأثيراته وتردد اسمه في كتابات روبين داريو الشعرية والنثرية.

لم تكن حياة روبين داريو العملية مستقرة على الإطلاق، فقد تنقل بين العديد من دول أمريكا الجنوبية بحثا عن فرص أفضل للحياة نظرا لتأثير التغيرات السياسية والانقلابات العسكرية على علاقته بالوظيفة، فقد انتقل عام 1886 إلى التشيلي وعمل محررا بجريدة "ايبوكا" إلى جوار عمله مراسلا لعدد من الصحف النيكاراجوية، مثل "الدياريو نيكارجوينسي" و"الانبارثيال"، وقضى هناك حوالي أربع سنوات لينتقل بعدها إلى أوروبا مرورا بأسبانيا التي زارها لأول مرة عام 1892، وخلال تلك الزيارة كان مكلفا بتمثيل نيكاراجوا في الاحتفال بمئوية كولومبس، ثم عمل وزيرا مفوضا لنيكاراجوا في مدريد، وخلال تلك الفترة احتل العديد من المناصب الرسمية، ومثل بلاده في العديد من الاحتفاليات الدولية السياسية والثقافية، ومع ذلك كان خلال تلك الفترة نشطا في المشاركة الفعالة بتحرير العديد من الصحف والمجلات التي كانت تصدر في أمريكا اللاتينية.

وكتب عنه الناقد الأسباني "ميجيل دي لوس سانتوس اوليفيير" معلقا على دوره وتأثيره: "لقد كان مرور روبين داريو

بالغنائية المكتوبة باللغة الأسبانية كمنشط لها، ولعب دورا مهما في التأثير على جيلين كاملين من كُتابها، فقد حمل على عاتقه وحده وبمفرده أن ينتقل باللغة الأسبانية بمرحلتين مهمتين، وبفضله تعرفت هذه اللغة على المرحلتين "البارناسية" و"التعبيرية الرمزية"، ودفع بها إلى بدايات هاتين المرحلتين، وعمل على أن تنجز ردة فعلها في هذين المجالين، ثم لعب بعد ذلك دورا في التمرد على هذين الاتجاهين عندما بدأ توهجهما يخفت، وذلك من خلال البدء في مرحلة أطلق عليها النقاد "الكلاسيكية الجديدة neoclasico"، ليسجل بعد ذلك مرحلة انطلاق مهمة في الأدب المكتوب باللغة الأسبانية أطلق عليها النقاد اسم "الحداثة El moderismo ".

يرى نقاد تلك الفترة أيضا، أن أول هذه التأثيرات بدأت مبكرا مع صدور كتاب "أزرق" الصادر عام 1888، والذي وضع الكاتب على أولى خطوات الشهرة كشاعر ومبدع نثري، وفي الوقت نفسه وجه الضربة الأخيرة لتبعية الكتابة في أمريكا اللاتينية للكتابة القادمة من أسبانيا، كما أشرنا وأشار النقاد من قبل، بل ونبه كتاب أسبانيا أنفسهم إلى أن شيئا جديدا يتحرك من حولهم وأنه لا بد عليهم من الخروج من حالة الجمود التي وصلوا إليها.

ساعد على ترسيخ وجود روبين داريو ككاتب وشاعر مؤثر اهتمام نقاد آخرين من أسبانيا بهذا الإبداع، وكانت رسالتان كتبهما

الناقد الإسباني "خوان فاليرا" في صحية "الامبارثيال" تأثيرا كبيرا في هذا المجال، فقد وصفه بأنه "ناثر وشاعر متميز، رغم وقوعه تحت تأثير مبالغ فيه من الأدب الفرنسي"، ولم يكن تأثير هاتين الرسالتين مهما في أسبانيا فحسب بل حققتا لروبين داريو شهرة واسعة في معظم دول أمريكا اللاتينية، وجعلته يتقدم بخطى واسعة نحو عرض رؤيته لما يجب أن يكون عليه الأدب الجديد، وما يجب أن يتخلى عنه الأدب المكتوب بالأسبانية ليلحق بتطور جديد في مسيرته.

بوصوله إلى أسبانيا في رحلته الأوروبية التف حوله مجموعة من الكُتاب الشباب رغم المعارضة التي واجهها وجوده من جانب الكُتاب الأكاديميين الكبار، ومن بين شباب ذلك الوقت المعجب بإنجازات روبين داريو الأدبية كان الشاعر "خوان رامون خيمنيث" الذي يعتبر من ابرز شعراء "المودرنيزمو" في أسبانيا، والحاصل على جائزة نوبل للآداب فيما بعد، وأيضا كان هناك عدد من الكتاب المسرحيين أمثال "باي انكلان"، و"خاثينتو فينابنتي"، وفرانثيسكو بياسبيثا، وغيرهم من أهم كتاب أسبانيا في النصف الأول من القرن العشرين. وأيضا كان لقاؤه مع "انطونيو ماتشادو" في باريس من أهم نقاط التحول في أدب ماتشادو الذي تحول بفضل إعجابه به إلى نوع من التكريس له كرائد للأدب المكتوب بالأسبانية.

استخدم روبين داريو في كتابة أشعاره أنواعا جديدة من الأوزان الموسيقية التي لم تكن مطروحة في الشعر الأسباني حتى ذلك الوقت، ومزج بين العديد من التفعيلات ليقدم تركيبا شكليا جديدا اعتبره النقاد خروجا على ما اعتاد شعراء اللغة الأسبانية استخدامه حتى ذلك الوقت، ويؤرخ نقاد الأدب الأسباني ظهور "المودرنيزمو El moderismo " ولم يكن اللافت للنظر هذا التجديد الشكلي فقط، بل إن كتابات داريو شكلت منعطفا مهما في الاهتمام بالقضايا الحياتية والإنسانية المهمة التي كانت تمر بها مجتمعات تلك المنطقة، فقد عبر الكاتب في كتاباته عن رفضه للكثير من ممارسات المجتمع البرجوازي، وتعتبر قصته "الملك البرجوازي" مهمة في هذا الاتجاه، والتي ظهرت في الطبعة الثانية لكتاب "أزرق" الصادرة عام 1890 بعد إضافة نصوص أخرى إليه.

وحسب النقاد سارت كتابات داريو في اتجاهات عدة، فالنقاد يعتبرون أن "أناشيد الحياة والأمل" الصادر عام 1905، يقدم مرحلة جديدة في مسيرته، ينحو فيها نحو التأمل الداخلي وإبراز الأحاسيس الخاصة جدا دون التخلي عن الخط الشكلي الذي ميز مرحلة الحداثة التي دشنها بكتابه "أزرق"، وتأكد هذا الاتجاه بعد ذلك بصدور "النشيد الشارد" عام 1907، وكذلك كتابه "قصيدة الخريف وقصائد أخرى" الصادر عام 1910، ورغم أهمية الكتب الصادرة في حياته وتأثيرها الكبير على تجديد الأدب المكتوب

باللغة الأسبانية إلا إن الكثير من كتاباته لم تنشر في كتب خلال حياته، بل كانت تنشر موزعة في الصحف والمجلات التي كان يشارك في تحريرها أو يديرها بنفسه، وظلت بعيدة عن الكتب إلى أن قام خوسيه فياكستين الرجل الذي ارتبطت به زوجة روبين داريو الأخيرة بعد رحيله بجمع هذه القصائد والكتابات غير المنشورة والمنتشرة في العالم كله، ودفع بها إلى دار نشر "اجيلار" لترى النور مجمعة.

من أبرز إضافات كتابات روبين داريو إلى الأدب المكتوب بالأسبانية استخدامه لصور ورموز لم تكن دارجة من قبل، ومن أبرز تلك الرموز التي استقاها من الطبيعة المحيطة به، رمز البجعة أو الأوزة، الذي كثيرا ما تكرر في كتاباته سواء الشعرية أو النثرية، وكان تكرار رمز الأوزة في العديد من كتاباته يكاد يصل إلى حد الهوس، وان كان هذا الرمز المتكرر يعبر في الكثير من استخداماته عن الجمال، وفي كثير من الاستخدامات كان نوعا من الإشارة إلى روبين داريو نفسه، بل إن بعض النقاد كانوا يطلقون على حركة "الموديرنيزمو" على أنها حركة "الأوزة" وعندما بلغت تلك الحركة نهايتها وبدأت الأجيال الجديدة في التمرد عليها لدخول مرحلة أخرى من التطور قال الناقد "انريكي جونثالث مارتينيث": "إنه يجب كسر عنق الأوزة".

الثقافة الإغريقية القديمة مثلت أيضا رموزها تكرارا مهما في أعمال روبين داريو وكثيرا ما استخدم أسماء الآلهة الإغريقية

بدلالاتها المختلفة، بل خصص أعمالا كاملة تجمع تلك الآلهة معا في صورة واحدة، ومنها قصيدة شهيرة تحت عنوان "حوارات السانتوريات" وتمثل بالنسبة له الدلالة على ازدواجية الروح والجسد من خلال طبيعة "السانتوري" أو "المسخ" الذي تصوره الأساطير اليونانية على أنه جذع رجل متكامل يقوم على سيقان حصان، لأنه بالنسبة له فإن هذا الشكل الأسطوري يشكل طبيعة البشر المرتبطة بالحيوانية، بالطبع هناك رموز أخرى لها علاقة بأعماله الشعرية والنثرية على حد سواء، فاللون الأزرق الذي اتخذه عنوانا لأول واهم كتبه تكرر هذا اللون كثيرا في أشعاره وقصصه متخذا دلالات أخرى مختلفة.

وتميزت أشعاره في الحب بتنوع الملامح الجمالية للمحبوبة، وحسب رؤية الكاتب الإسباني "بدرو ساليناس" فإن هذا يعود إلى تعدد قصص الحب الحقيقية التي مر بها داريو في حياته وكان لكل واحدة منهن جمالها وشكلها الخاص، من أول الشقراء ذات العيون الزرقاء التي كانت أول حب له، إلى الهندية الأصيلة ذات اللون الأسمر كالشيكولاته، إلى السمراء وغيرهن ممن مررن بحياته، لذلك لا توجد امرأة مثالية في حياة داريو بل تتعدد المرأة المثالية بتعدد المحبوبات والعشيقات في حياته.

أيضا كثيرا ما نرى مشاهد شاذة وغريبة في أعمال داريو وربما في كثير من الأعمال التي أبدعها كُتاب ينتمون إلى حركته الحداثية، ويفسر كثير من النقاد هذه المشاهد الغريبة والشاذة في أعمال داريو وغيره من المتأثرين به على أنها رفض للعادي أو

الاعتيادي الذي كانوا يعيشونه ويشاهدونه منعكسا في أعمال المبدعين السابقين عليهم، وأيضا يفسرونه على انه هروب من واقع مرفوض إلى واقع عاشته البشرية من قبل كما هو الحال في الثقافة الإغريقية، وفي بعض الأحيان باللجوء إلى أساطير الثقافات الشرقية: الفارسية والعربية.

بالطبع لجأ روبين داريو كثيرا إلى ماضي بلاده من الثقافات الهندية القديمة السابقة على وصول كولومبس إلى ما سمي بالعالم الجديد، ويتجلى هذا في عودته إلى ذكر الأشياء القديمة، أو تخيل الأوضاع في الماضي في تلك القارة البكر، وأيضا كثيرا ما لجأ إلى رموز من حضارات المايا والاتتيك ليعبر عن أوضاع معاصرة في حياته.

لا تزال إبداعات روبين داريو تشكل جذرا أصيلا في أعمال مبدعي الآداب المكتوبة باللغة الأسبانية رغم مرور ما يقرب من قرن على وفاته، ولا يزال يعتبر احد كلاسيكيات هذه اللغة التي لا يمكن أن تنمحي، والمؤسف أن ترجمة إبداعات روبين داريو إلى اللغة العربية كانت ولا تزال قليلة جدا، فقد اقتصرت على ترجمات متفرقة من أشعاره وقصصه، لذلك تحاول هذه المختارات أن تقدم أول رؤية أقرب إلى التكامل، لأن المختارات لا تقدم سوى نماذج من كل نوع أدبي مارسه الكاتب، وحتى يمكن التعرف عليه كخطوة أولى للدخول إلى عالمه، ونرجو أن نكون قد نجحنا في ذلك.

المختارات الشعرية

بركان "موموتومبو"[1]

كان القطار يجري على قضبانه،
في أيام ربيعي الذهبية،
وفي نيكاراجوا مسقط رأسي،
فجأة، بزغَ بين قمم الأشجار،
قمع عملاق، كان "أصلعا وعاريا" رأيته،
ومفعماً بعظمة قديمة.

كنتُ قد قرأت أنا عن "هوجو[2] وأسطورته"
التي تعلمتها،
رأيتُ ذلك البناء الشامخ الأسود في مواجهة الشمس،
كما لو كان خيمة عظيمة،

---

[1]- موموتومبو: اسم بركان يقع جنوب نيكارجوا بالمناطق المطلة على المحيط الهادئ، يبلغ ارتفاعه 1258 مترا، وثار وأطلق حممه عدة مرات، كان آخرها عام 1905، ويثير اهتمام دارسي البراكين بسبب أشكال تكوينه الجمالية.

[2]- الكاتب الفرنسي فيكتور هوجو

عظيم مهاب، كأب شيخ
يزدوج في انعكاسات مرايا متقابلة
من ماء اللؤلؤ والزمرد والأخضر.
ماء متعدد الأخضر ورمادي متغير،
يشعُ ولا يُغادر مكمنه ولا ماسته
إلى اللهب الاستوائي الشاسع.
يرتفع "موموتومبو" متناغما وعظيما،
كنت وقتها في الخامسة عشرة:
نجمة في الكف!
كان ذلك في نيكاراجوا مسقط رأسي.
كنت متشبعاً وقتها من "اوفييدو"[3] و"جومارا"[4].
وروحي اليانعة تحلم بتاريخ غريب،
أسطورة، وحكاية، ورومانس، وحب عن الغزو،
وانتصارات لفرسان شجعان،
ورجال "الانكا" في مواجهة الكهنة، والمساجين والعبيد،
وريش ملون وذهب، قوة ومجد.

---

[3]- جونثالو فرناندیث دي أوفييدو (مدريد 1478- سانتو دومينجو 1557) مؤرخ متخصص في تاريخ البلاد الهندية بأمريكا اللاتينية، ومن أهم أعماله، التاريخ العام والطبيعي للبلاد الهندية، يقدم فيه رؤيته لتلك البلاد منذ عهد الاكتشاف عبر ملاحظاته حول الطبيعة في تلك البلاد وتحولاتها.

[4]- فرانثيسكو لوبث دي جومارا (أشبيلية 1510- 1566) كاهن ومؤرخ أسباني، درس بجامعة "الاكلا دي ايناريس" وكان في خدمة القائد "هيرنان كورتيس" احد قادة موجات الاستعمار الأسباني للعالم الجديد.

وصلتُ، ورأيتُ في سحاب ذلك المنحدر المعمّر قروناً،
وذلك البركان الآسر،
الذي كان رؤية كاشفة في عيني،
سيد القمم، وإمبراطور الماء،
وتحت أقدامه بحيرة "ماناجوا"[5] الإلهية،
بجزرها المنطلقة بالغناء والضوء.

"موموتومبو"، هتفتُ،
آه أيها الرجل الأسطوري!
كان "هوجو الأكبر" محقاً عندما سمع
إيقاع الأبدية في سيرتك،
عندما تركتَ ظلالك على السد،
عندما سمعتَ لغة الإقطاعي البيضاء
في خطابه عن الحرية.

[5]– ماناجوا: عاصمة نيكاراجوا، مسقط رأس الشاعر روبين داريو.

آه، أيها الأب المصنوع من النار والحجارة،
طلبتُ منك في ذلك اليوم،
أن تمنحني سر لهيبك،
جسدك المتناسق،
والبدء الذي يمكنك أن تمنحني،
بسببك فكرتُ في عظمة "أوساس" و"بيليونيس"[6]،
وأن في قمتك تنيناً،
وأسفلك يرقدُ في الأرض والبحر.

آه، "موموتومبو" الأجش كالصدى،
أُحبك لأن روحك تأتيني من جديد،
مستجيبةً لانجذابٍ داخلي،
روائح من طفولتي،
ونسائم من صغري.

---

[6]- تقول الأسطورة الإغريقية أن "زيوس" في دفاعه عن "الأولمب" خاض معارك رهيبة ضد عمالقة على قمم محيطة به ومنها "اوساس" و"وبيليونيس"

العادي من الأمسيات والشروق،
لم أرى أجمل منها أبداً ترتفعُ على قمتك،
كلك عظمة على القمة الصدى،
ترتفع على انتصارات الذهب،
والزمرد والياقوت.

عندما انهارت حدائق "بابل" في غروبها
كنتَ أنتَ رمز الثبات.

في مراياك شاهدتُ الحربَ الأبدية،
في صخورك وحداتٌ لا تنتهي أبداً،
شعرتُ في زلازلك نزورَ الأرض
وخلودَ "بان"[7].

[7]- من الآلهة اليونانية القديمة

بروح بركانية في الحياة الصعبة،
فإن "اكيلون"[8] و"أوراكان"[9] عانيا قلبي،
وحركا في عقلي الخوذةَ الملتهبة،
إنهما "اوراكان" و"اكيلون".

صوتُكَ أصاب يوماً "كريستوفر كولومبوس"[10] بالرعب:
الذي غنى "هوجو" سيرته الرائعة،
"مومو‌تومبو"، جبال موسومة بنار الله.

يسقط شعراء في السر نفسه، وتنهار جبالٌ:
وتتحطم دائرة الزجاج،
عندما تتصادم الكؤوس السبعة،
وينطلق بوق الآخرة!

(النشيد المرتحل، 1907)

---

[8]- انه أخيل ابن اورورا وإله الرياح الباردة التي تنبع من الجهات الأربع للكرة الأرضية

[9]- عاصفة

[10]- كريستوفر كولومبس: مكتشف العالم الجديد عام 1492، والمعروف أنه مات دون أن يعرف أنه وصل إلى أرض لم تكن معروفة من قبل، ولكنه كان حسب الروايات يعتقد أنه وصل إلى جزر الهند الغربية عبر الإبحار غربا.

كاوبوليكان[11]

إنه لشيء رائعٌ أن أرى الجنسَ القديمَ:
كجذعِ شجرةٍ عظيمٍ على كتف بطل
متوحش ومتماسك، وعضلاتُه القوية
تزعزع ذراعَ "هرقل"[12] أو ذراع شمشون[13].

شَعْرهُ دروعٌ، وصدرهُ صدر أيل،
يمكن لهذا المحارب، أن يكون بطل الناحية،
قاذفُ الغابات، نمرودُ الصيد،
يمزق ثوراً، أو يلوي عنقَ أسد.

---

[11]- كاوبوليكان، (؟؟- 1558) أحد زعماء القبائل الهندية، ناضل ضد الغزاة الأسبان، واستطاع أن يوقف زحفهم لفترة من الزمن، إلى أن تمكنت تلك القوات الغازية من أسره وتعذيبه حتى الموت، وتم تخليد ذكراه في العديد من القصائد والأشعار التي حولته إلى أسطورة وطنية.

[12]- هرقل: بطل أسطوري في الميثولوجيا الإغريقية.

[13]- شمشون: بطل أسطوري.

سارَ، وسارَ، وسارْ،
حتى إلتقاه ضوءُ النهار،
وشاهدَهُ ضوءُ المساء الذابل،
وعانقهُ الليلُ البارِدُ،
وجذع الشجرة دائماً على كتف العملاق.

"التوكي، التوكي[14]" تصرخ فيه الجموع الأصيلة
سارَ، وسارَ، وسارْ، وقال الفجر: "كفى"
وتعاظمت جبهة "كاوبوليكان" العظيم.

(أزرق، التشيلي، 1888)

[14]– التوكي Toqui هو القائد العسكري في الشعوب الهندية القديمة المسماة "المابوتشي" التي تقطن مناطق "اراوكو"

أنا ذلك الذي...

إلى خوسي انريكي رودو

أنا الذي لم يكن بالأمس يقول أكثرَ
من الشعر الأزرق،
والأغنية اللادينية،
أنا من كان في ليله عندليباً بلبلاً
بعد أن كان قنبرة ضوء في الصباح.

كان سيدَ حديقة حلمي،
المليئةُ بالأزهار والبجعات الكسالى،
سيدَ اليمامات، سيدَ
الجنادل وقيثارات البحيرات.

وفي أعماق القرن الثامن عشر،
في القِدم،
وفي الحداثة، حاد ومدني،
قوي مع "هوجو" وغامض مع "فيرلين"[15]،
وبه عطش لأحلام لا تنتهي.

عرفت الألم منذ طفولتي،
وشبابي.. هل كان شبابي شباباً؟
لا تزال أزهاره تترك لي روائحها،
رائحة من الجنون...

مهرٌ بلا ضوابط أنطلق داخلي،
أقام شبابي مهراً بلا ضوابط،
انطلقَ سكيراً والسكين في الحزام،
وإن لم يسقط، ذلك لأن الله لطيفٌ.

---

[15]– فيرلين: الشاعر الفرنسي "بول فيرلين"

شوهد في حديقتي تمثال جميل،
أكدوا أنه من الجرانيت،
لكنه كان جسداً حياً،
وتسكنه روحٌ مفعمةٌ،
جياشةٌ، وحساسةٌ، وشهوانيةٌ.

وخجولةٌ في مواجهةِ العالم،
كانت منغلقةً في صمتها لا تغادره
سوى في الربيع الحلو،
لقد كانت ساعة التآلف...

إنها ساعةُ الغروب والقبلةُ السرية،
اللحظةُ الشفقية، ولحظةُ الاستكانة،
لحظةُ الغزل والفتنة،
لحظةُ "أعشقك" و"آي" والتنهيد.

وحينها كانت في القيثارة لعبة
من تراكيب بللورية،

تجديد لألحان "بان" الإغريقي،
وتفكيك الموسيقى اللاتينية.

في مناخ كهذا واشتعال خيل،
وُلِدت في التمثال فجأة،
في الجسد الحيوي ساقا عنز،
وقرنان في الجبهة.

كآسيوي،
وسحرني "ماركيز" و"فيرلين"،
وهكذا جمعت إلى التشبب الإلهي
شهوانية بشرية مفعمة.

كل الشوق، كله تحرّقٌ، إحساسٌ صاف،
وقوةٌ طبيعيةٌ، دون تزييف،
ودون سخرية، ودون مبالغة أدبية...
لو كانت هناك روحٌ جادة،
تكون هذه روحي.

البرج العاجي داعب رغبتي،
أردتُ أن أُسجنَ داخل نفسي،
وأصابني جوعُ الفضاء وعطشُ السماء،
من ظلال جهنمي الخاص،
كالإسفنجة التي أغرقها الملح
في لعبة البحر،
لقد كان جميلاً ورقيقاً.
يا قلبي، ننتفخ بالمرارة
من أجل العالم، والجسد والجحيم.

بفضل الله، عرف الخيرُ أن يختارَ
أفضلَ مكانٍ في وعيي،
وإن وُجدَ جليداً جافاً في وجودي،
فقد منح الفنَ حلاوته.

وتجنبتْ ثقافتي الفكر المنحط،
وغمرتْ المياهُ روحي،
أسكرَ قلبي وأتى
تناغم الغابة المقدسة.

أوه، الغابة المقدسة!، أوه، المغناطيس
العميق لقلبي الإلهي،
من الغابة المقدسة، أوه، النافورة
الخصبة التي تهزم فضائلها القدر.

أبحثُ عن المثال لأن الواقعَ يتعقدُ،
هناك يتحرق الجسد ويعيش ويطير،
فيما هناك في الأسفل، يتدنسُ الوحشُ،
يسكرُ "فيلوميلا"[16] بالأزرق المذاب.

لؤلؤةُ الأحلام وموسيقى عشقٍ
في قمة زهرة غار خضراء،
وامتصاصُ في الوردة،
وبحثاً عن العشب يقضم الحلمة.

---

[16]– فيلوميلا: أميرة شهيرة ابنة "باندیون" ملك أثينا، وشقيقة "بروكني" زوجة تريو"، بطل تراثيا، اغتصبها زوج شقيقتها وحتى لا تشي به قطع لسانها، فقامت بتوشية حكايتها على سجادة وأرسلتها هدية إلى شقيقتها، التي انتقمت من زوجها بقتل ابنها "ايتيس" وقدمته طعاما لزوجها، وعندما علم بما حدث قام بتتبع الشقيقتين للانتقام منهما، لكن الآلهة تدخلت وحولت "بروكني" إلى قبرة، فيما شكلت "فيولميلا" إلى عصفور مغني

وهناك يتبعُ الإله الهائج الأنثى،
وترتفعُ حربة "بان" جانباً،
وتُلقي الحياةُ الأبديةُ بذورَها،
وينبعُ تناغمُ الجمع الأكبر.

على الروحِ أن تدخلَ هناك عاريةً،
ترتعشُ بالرغبةِ والحمى المقدسة،
فوقَ حراشفَ الوريثِ والشوكةِ الحادة:
هكذا تحلمُ، وهكذا ترتعشُ، وهكذا تغني.

حياةٌ، ونورٌ وحقيقةٌ،
إنها الشعلةُ الثلاثية،
تشعلُ اللهبَ الداخلي اللانهائي.
يصرخُ الفنُ الصافي كما المسيح:
(أنا النور، والحقيقة والحياة)[17]

[17]– إشارات منقولة عن المسيح في انجيل يوحنا

الحياةُ سرٌ، والنورُ أعمى،
وتدهشُ الحقيقةُ التي لا طريق إليها،
والإتقانُ المطلقُ لا يستسلمُ أبداً،
وينامُ السرُ المثالي في الظل.

لهذا أن تكون جاداً هو أن تكون قوياً،
فالنجمةُ تلمعُ رغم عريها،
ويقول الماءُ لروحِ النافورةِ،
وفي صوتها الزجاجي ينبعُ منها.

هذه كانت محاولتي، لخلق الروح الصافية،
روحي، نجمةٌ، نافورةٌ تنطقُ
برعبِ الأدب،
وجنونِ الشفق والفجرْ.

بالشفق الأزرق الذي يمنحُ الراحةَ،
التي يستلهمها الطربُ السماويُ،
ضباباً أخفُ من الصدى- كل الناي
والفجر وابنة الشمس- كل القيثارة.

مرَّ حجرٌ ألقت به موجة،
مرَّ سهمٌ ألقاه شخص عنيف،
حجرُ الموجة ذهبَ إلى الموجة،
وسهمُ الكراهية ذهبَ مع الريح.

الفضيلةُ في الهدوءِ والقوة،
وكلُ شيءٍ يحترقُ بالنارِ الداخلية،
تنتصرُ النميمةُ والموتُ،
وتمرُ القافلةُ... نحو بيت لحم.

(أناشيد الحياة والأمل، باريس 1905)

إلى "فوكاس" الفلاح[18]

فوكاس الفلاح، يا بني، ما بك،
لم يمض عليك أشهر قليلة في الحياة،
آلام كثيرة في العينين تنتظرُ بكاءً طويلاً،
لأنكَ تفكرُ في عما يكشف عقلك.

يتأخر الألم كثيراً حيث يأتي
إلى هذا العالم المرعب متلفعاً بالصراخ والهياج،
نَمْ تحت الملائكة، واحلمْ بالقديسين،
فالحياة أمامك طويلة لتتسمم.

---

[18]- هذه القصيدة مهداة إلى ابنه الأول من زوجته الأسبانية "فرانثيسكا سانشيث"، وهناك إشارة أيضا إلى أن "فوكاس" هو امبراطور روماني عاش معظم حياته بين الحقول لعشقه للريف والزراعة، وأيضا هذه شخصية من شخصيات مسرحية "كالدرون دي لا باركا" الشهيرة بعنوان "في هذه الحياة كل شيء حقيقي، وكل شيء مزيف أيضا".

احلمْ، يا بني، لأنه عندما تكبرُ
سوف ننسى شر منحك الحياة،
التي كنت أريدها أنا زرقاء وزهوراً يانعة.

لأنكَ نقاءُ روحي الحزينة،
وكنتُ أودُ أن أراك في الانتصار الذي تستحقه،
مُجدداً وهجَ نفسي المنطفئ.

(أناشيد الحياة والأمل، باريس 1905)

والت ويتمان

في بلاده الحديدية يعيش الشيخ الأكبر،
رائع كشيخ قبيلة، جاد وقديس
في تجعيدته الاولمبية، فيما بين العينين
شيء يأمر وينتصر بجاذبية نبيلة.

تبدو روحه اللانهائية مجرد جدث،
إنهما كتفاه المتعبتين الحرية بالشال،
وملابسه المغسولة ببلوط فتي،
كنبي جديد ينشد نشيده.

قسٌ ينفخُ روحاً إلهية،
يعلنُ، في المستقبل، زمناً أفضل،
يقولُ للنسر: "طِرْ"، ويقولُ: "جدف" للبحار.

ويقولُ للعامل القوي "اعمل"،
وعلى هذا المنوال يسير هذا الشاعر في طريقه،
بوجه إمبراطور حاد.

(ازرق، تشيلي، 1888)

فينوس

في الليلة الهادئة، أعني حنيني المر.
بحثتُ عن الهدوء
ونزلتُ إلى الحديقة الرطبة والهادية،
في السماء القاتمة كانت فينوس جميلة ترتعشُ وتضئ،
ترصعُ،
ضوؤها الذهبيُ ياسمينة إلهية.

أمام روحي العاشقة، كانت تبدو ملكةً شرقية
تنتظرُ عشقها، تحت سقف قمرتها،
أو محمولةً على الأكتاف،
وتعبرُ الامتدادَ العميق
منتصرةً مضيئةً متكئةً على هودج.

"أوه يا أيتها المليكة الشقراء!، قلت لها،
روحي تريدُ أن تتركَ خدرها
وتطيرُ نحوكِ، وتقبلُ شفتيكِ الناريتين،
وتطفو في هالة تُلقي على جبهتكِ نوراً شاجبا.

وفي توهج كوكبي لا أتركُ حبكِ لحظةً واحدة"،
ويرطبُ هواءُ الليل المناخ الساخن،
فينوس، من الجحيم،
تُلقي إليَّ نظرة حزينة.

(ازرق، تشيلي، 1888)

الملوك المجوس الثلاثة

– أنا جاسبار، وها أنا آتي بالبخور،
وجئتُ لأقول: الحياةُ نقيةٌ وجميلةُ،
والله موجودٌ، والحبُ عظيٌ،
أعرفُ كل هذا بفضل النجم الإلهي.

–أنا ميلتشور، صبري كله شذا،
والله موجودٌ، إنه نورُ النهار،
والزهرةُ البيضاءُ تضعُ ساقها في الطين،
وفي اللذة حسرة.

-أنا بالتسار، لديّ الذهب، وأؤكد
أن الله موجودٌ،
إنه الأكبر والأقوى،
أعرفُ كل هذا بالضياء الصافي،
الذي يلمعُ في إكليل الموت.

-جاسبار وملیتشور وبالتسار، صامتون،
ينتصرُ الحبُ ويدعوكم إلى عرسهِ،
ينهضُ المسيحُ،
ويبدأ نور الفوضى،
وعلى رأسه إكليل الحياة.

(أناشيد الحياة والأمل، باريس 1905)

ليليٌ

أريد أن أُعبَّر شعراً عن تقززي،
لأنزع عن شبابي المليء بالورود والأحلام،
والزهر المر من حياتي،
بألم كبير ومدن صغيرة.

والسفرُ في سفنٍ مبحرةٍ إلى شرقٍ غامض،
وحبة صلوات أزهرت في الإلحاد،
وخجل بجعة بين المستنقعات،
والأزرق الليلي الزائف لبوهيمية متحققة.

في البعيد بيانو قديم والصمت والنسيان،
لم تمنح أبداً الأحلام للسنواناتا السامية،
قاربٌ يتيمٌ،
شجرةٌ شهيرةٌ،
عشٌ قاتمٌ،
خفف ليلاً من الطلاوة والفضة...

أملٌ فواحٌ بالحشائش الرطبة، صدى
عصفور ربيعي وصباحي،
سوسنةٌ مقطوفةٌ لسوء حظها،
مسحورةٌ ومطاردةٌ بالشر.

القارورةُ المشئومةُ بالسم الإلهي
التي تمزقُ الحياةَ بالألم الداخلي،
الوعيُ المرتعبُ في عقلنا الإنساني،
والرعبُ من الإحساسِ بالرحيل، الرعبُ.

من السير باللمس، في موجات رعبٍ
باتجاه المجهول المحتوم،
والكابوسُ المرعبُ من النوم باكياً،
والذنبُ لا غيره يوقظنا منه.

(أناشيد الحياة والأمل، باريس 1905)

تناسخ

أنا كنتُ جندياً نام في عرش
كليوباترا الملكة، بياضُها
ونظرتُها الكونية الجبارة،
كان هذا كل شيء.

يا لها من نظرة، يا له من بياضٍ،
وذلك العرشُ
الذي كان البياضُ فيه مشعاً،
آه أيتها الوردة المرمرية الجبارة،
كان هذا كل شيء.

أنّت فقراتُها بين ذراعي،
وأنا المولى، لقد أنسيتها انطونيو
(آه أيها العرش والنظرة والبياض)
كان هذا كل شيء.

أنا، "روفو جالو"، كنت جنديًا ودمي
الغالي ، لقد منحتني البقرةُ الصغيرةُ
لحظةً من رغبتها القوية،
كان هذا كل شيء.

لماذا لم تتقصف ساعتها
أطرافُ أصابعي البرونزية
في مداعبة عنقها ذي البياض الملكي؟
كان هذا كل شيء.

حملوني إلى مصر، في عنقي
السلاسل، أكلتني يوماً
الكلاب،
وكان اسمي "روفو جالو"،
كان هذا كل شيء.

(النشيد الشارد، 1907)

النشيد الشارد

لقد ارتحلَ المغني في كل أرجاء العالم
مبتسماً ومكفهراً.

لقد ارتجلَ المُغني على الأرض،
مرتدياً بياضَ السلام وأحمرَ الحرب.

مرتحلاً على ظهر فيل،
عبَرَ الهند الممتدة المدهِشة.

مرتدياً البياضَ والحريرَ الرقيق،
عبَرَ قلب الصين.

بالسيارة عبَرَ لوتيثيا،
وفي جندولٍ أسود عبَرَ فينسيا.

عبَرَ السهولَ والهضابَ،
عبَرَ الموانئ الأمريكية.

وفي النهر ارتحلَ بالقوارب،
ورؤيا على المقدمة.

على كرسي عبَرَ البحرَ الواسعَ،
وفي عربة قطار نوم.

المُخَدرُ بالصحراء،
قاربٌ حيٌّ، يأخذهُ إلى الميناء.

ويقفزُ على القطارِ السريعِ
في بياضِ الأرض البور.

أو في صمتِ الزجاجِ
الذي يعشّقُ الفجرَ الشمالي.

يرتحلُ المغني في الحقول،
بين المزارع والمواشي.

ويدخلُ لندن في قطار،
ويدخلُ على حمل إلى أورشليم.

بالحيلة والشرور،
يرتحلُ المغني بين البشرية.

ويطيرُ النشيدُ مع أجنحته:
تناغماً وخلوداً.

(النشيد الشارد، 1907)

رأس الراوي الشرقي

هل تريدينَ أن أحكي لكِ حكايات،
يا طفلتي الجميلة؟
لديّ الكثير لأحكيه:
حكايةً عن عروس البحر،
عن عصفورٍ ونجمةٍ،
عن وصيفةٍ بريئةٍ
سَرِقت ساحرها،
عن عايقٍ مغنٍ جوال،
وعن جاريةٍ عربيةٍ
بجيدٍ من لؤلؤ "البصرة"،
وشالٍ من "لاهور".

حكاياتٌ حلوة، وحكاياتٌ قوية،
عن سيداتٍ وفرسان،
عن مطربين ومحاربين،
عن سادةٍ وعبيد،
عن غاباتٍ اسكندنافية،
وقصورٍ من البللور،
حكاياتٌ عن سحرٍ خالد،
حكاياتُ حب إلهي،
تتزيا ألوانا زاهية
من سحر الشرق.

قولي لي، أيها تحبين؟
يقول أناس وقورون
إن الحكايات الشرقية
تُحبها النساء،
نعم، إذن أنت تفضلينها،
سأُرضي تشوقك،
وأنا أعرفُ حكاية إسلامية

تتحدث شعراً عن عاشق،
حكاها لي فارسي
جاء من أصفهان.

يُقال أن مَلِكاً شرقياً كبيراً
كان مصاباً بداء القلب،
جمع على الفور
حكماء أمته،
وقال كل منهم رأيه،
لم يعثروا على حقيقة واحدة،
فقرروا طلب مشورة
فلكي شيخ من بغداد.

ارتحلَ الشيخُ،
ما أن وصلَ حتى استطلعَ النجومَ،
وعرفَ منها
علةَ الملك.
وكخبير محنك،
تنبأ بسر الملك،

وأمام دهشة الحاشية
قال للملك: أيها الملك
أنت عاشق مُتيم.

بعدها، أصدر صاحب الجلالة
أوامره الملكية،
وطلب إحضار كل جميلات
المملكة،
واستعرضهنَ أمام حكيم بغداد
ليرى أيهن الأصلح
لعلاج الداء.

كانت هناك عيونٌ سوداء تفيض بالحياة،
وشفاهٌ تقتلُ من ينظر إليها،
خلفها صفوف من اللؤلؤ
تنامُ في أحضانٍ من مرجان،
وجوهٌ تموج بالحياة،
سطوعُ رذاذ مطر،
وشعرٌ أشقر ذهبي،

كان هناك الخدرُ والخجل،
تختلط وجوه وصيفات "سيرقاسيا"
بوجوه زنجيات النوبة.

جميلاتٌ مزيناتٌ
بأكاليل على الجباه،
بأقراط حلوة،
وأقراط ثمينة، وأخريات بحريرٍ ثمين
يخفي خجلها،
وأخريات ببشرة مرمرية،
وجباهٍ خجلة وصامتة،
كلهن عاريات تماماً
تُغرقنَ من ينظر في ضيائهن.

أمام هذا المشهد الرائع
شاهد الملك فارسيةً جميلةً،
بعينين رقيقتين وبشرةٍ صقيلة،
غضت طرفَها،
وغزت روح الملك

بجمالها الأخّاذ،
كانت ترتعشُ،
والرعبُ يملؤها،
عندما شاهدت السيد المبجل،
يقول لها:
ستكونين زوجة لي.

وهكذا كان،
الفتاةُ الجميلةُ
ذات البشرة البيضاء والعيون السود،
اكتملت بها الرغبة الملكية،
وتزوجها الملك.
تسألين إن كانت سعيدة؟
لا، الأمر ليس كذلك:
لم تكن سعيدة كملكةٍ هناك،
فالفارسيةُ الجميلةُ
كانت عاشقة
لـــ"بالزاراد" الراوي.

كانت لـــ"بالزاراد" في الحقيقة
حنجرة من رباب،
رباب حلو يسحر،
وعندما يغني "بالزاراد"،
يزداد النهار جمالاً،
وسمعتْ هي الراوي يغني،
ومن شفتيه الياقوتيتين
تنبعُ تنهيدةٌ مرتعشةٌ،
وكان "بالزاراد" المعشوق
للحورية السماوية.

لذلك فهي حزينةٌ جداً،
رغم أنها زوجةُ الملك،
تُمضي اليومَ متأوهةً
من صراعٍ داخلي،
ويكاد الملكُ ينفجر،
وقال لها ذلك مرة:
أيتها المليئة المزدوجة،

أنتِ تعشقينَ آخر،
وبدا في وجهها
الذبول.

نعم، قالت له، إنها الحقيقة،
وقدري هو حاكمي:
أيها الملك، أنا لا أستطيع أن أحبك،
لأني أعشق "بالزاراد".
غرقَ الملك في غضبه،
وأدارَ لها ظهره،
وعيناهُ تقدحان بالشرر،
والكراهية لمحبوبته،
وفكّرَ في الانتقام.

في اليوم التالي تلقت الجميلة
من الملك
صندوقاً
بزخارف رائعة،
فتحته مستطلعة،

وأطلقتْ من أعماقِها
صرخةً.
كان في الصندوق
رأس الراوي
غارقاً في دمائه.

بين كل هذا الجنون،
وفي مصيرها الفاجع،
سقطت ميتةً.
ذهبَ الملكُ بحثاً عن الجميلة:
كانت الفاتنةُ هناك،
باردةً ومرعبة،
نصفُ عارية وميتة،
تُقبِلُ رأس "بالزاراد" المرعب.

وقفَ الملكُ مفكراً
فيما فعلته العاطفة العمياء،
وبعدها،
عاد الملك إلى علته.

إلى روزفلت

بصوت من الإنجيل أم بأشعار ويتمان،
أكان يمكن الوصول إليك، أيها الصياد،
أيها البدائيُ الحديث، البسيط والمعقد،
أنتَ الولايات المتحدة،
أنتَ الغازي المستقبلي
لأمريكا العبقرية ذات الدماء الأصيلة،
التي لا تزال تصلي للمسيح وتتحدث الإسبانية.

أنتَ فردٌ عنيفٌ وقوي،
أنتَ مثقفٌ، أنتَ ماهرٌ، ومعارضٌ **لتولستوي**،
تروضُ خيولاً، أو تقتل نموراً،
أنتَ **الاسكندر-نوبخذنصر**
(أنتَ أستاذُ الطاقة،
كما يقول مجانين اليوم).

أنتَ تعتقدُ أن الحياةَ حرائق،
أن التقدمَ بركان،
حيثُ تضعُ طلقتك
يوجد المستقبل،
لا!

الولايات المتحدة قويةٌ وكبيرةٌ،
عندما تغضب يحدث زلزالٌ عميق
يمرُ عبرَ فقرات سلاسل الانديز.
وإذا هدأتْ، يمكنُ سماعُ زئير الأسد،
فقد قال هوجو لجرانت: "النجومُ ملككم".
(لا تكاد شمس الأرجنتين الطالعةُ تلمعُ
وتستيقظُ النجمة التشيلية...)
أنتَ الأثرياء.
تجمعون عبادةَ هرقل بعبادةِ المال،
وتضيئونَ الطريقَ نحو الغزو السهل،
فيما ترفعُ الحريةُ شعلتها في نيويورك.

الأكثرُ من ذلك أن أمريكا التي لنا،
التي كانت مليئةً بالشعراء
منذ أزمنة نيتزاهولكيوتو[19] البعيدة،
واحتفظت بآثار أقدام "باكو"[20] الكبير،
الذي تعلمَ في زمن الأمية المرعب،
الذي استطلعَ النجومَ، وعرِفَ اتلانتا،
التي جاء اسمُها من "أفلاطون"،
والتي منذ سنوات حياتِها الأولى
تعيشُ من النورِ، والنارِ، وعطرِ الحب،
أمريكا موكتيزوما[21] الأكبر، أمريكا الانكا،
أمريكا كولومبس،
أمريكا الكاثوليكية،

---

[19]- نيتزاهولكيوتو، (1402-1472) ملك تشيتشيميكا دي تشوكوكو (المكسيك القديمة) هزم أعداء والده، وكان شاعرا وشهدت بلاده في عهده ازدهارا كبيرا

[20]- الاسم الروماني للإله الإغريقي "ديونيس" اله الخمر، وهو ابن الإله "جوبتر"

[21]- موكوتيزيما، ملك الاثتيكا منذ 1502 ميلادية، وفي عهده بلغ ملك الاثتيكا أوج عظته واتساعه، ولكن تجبره أدى إلى الكثير من النزعات الداخلية التي سهلت على الغزاة الأسبان هزيمته والاستيلاء على بلاده، وأسره القائد الأسباني "هيرنان كورتيس" ولكنه مات بعد زمن قليل من أسره.

أمريكا الإسبانية،
أمريكا التي قال عنها النبيل جواتيموك[22]:
"أنا لستُ في سرير من الورود"،
أمريكا تلك
التي ترتعدُ من البراكين،
وتعيشُ بالحبِ،
التي يعيش فيها رجال ذوي عيون ساكسونية
وروح بربرية.
تعيشُ وتحبُ وتنتفض،
فهي ابنة الشمس.
احترسوا، فلتحيا أمريكا الإسبانية!،
فهناك ألف شبل طليق من أبناء الأسد الإسباني.
أنتَ تحتاجُ يا روزفلت أن تكون الإله نفسه،
أنتَ روزفلت المرعب والصياد القوي،
حتى تأخذنا بين مخالبك الشرسة.

أنتَ تملك كل شيء،
لكن ينقصك شيء: الله.

(أناشيد الحياة والأمل، باريس 1905)

---

[22]- جواتيموك، أخر زعماء الاتتيك وقاد حملة تمرد ضد الأسبان، عام 1519، لكنه سقط بعد ذلك في أيدي الأسبان فأعدموه بعد تعذيبه طويلا في محاولة لمعرفة أسرار الكنوز المخبوءة في معابد الاتتيك

إلى فرانثيسكا

(مقطع)

فرانثيسكا، كوني ناعمةً
إنه واجبكِ الحلو،
كوني لي طيرًا
يتحول امرأة.

فرانثيسكا، كوني زهرةً،
وعطّري حياتي،
كوني حباً متكاملاً
وألماً وزبد.

فرانثيسكا، كوني بلسماً
مثل تفكيري،
فرانثيسكا، كوني وزهرةً

مثل حبي الرقيق،
فرانثيسكا، كوني امرأةً،
كما يجب أن تكوني.

معرفة الحب والإحساس
والإعجاب كالصلاة...
وعلم الحياة
وفضيلة الانتظار.

بعيداً عن التدليس والإحساس الماكر،
مليئة بالأمل أكثر من الإيمان،
يصير الله في طريقي،
فرنثيسكا سانشيث، رافقيني....

في تفكيري المؤلم والاستشهادي،
وضعت فيه العسل ربما دون قصد،
تعددتْ بتلات الزنابق،
وبردتْ أوراق الغار.
عرفتِ كيف تكوني حارسةً للألم،
ورفعتِ الحبَ دون فهمه،
تنيرينَ الضوء في ساعات الحزين،
تضعينَ عاطفة حيث لا توجد.

من المؤكد أن الله قادكِ
لري شجرة إيماني،
لتكوني مصدراً لليل والنسيان،
فرانثيسكا سانشيث، رافقيني...

(أعمال متفرقة، 1914).

توتيكوتزيمي

عند الحفر في أرض المدينة القديمة،
اصطدمَ سنُ فأسي المعدني
بقطعةٍ من الحلي الذهبية،
بحجرٍ منحوتٍ،
بسهمٍ، بصنمٍ،
بإله بلا شكل محدد،
أو بالأسوار الضخمة لأحد المعابد.
تعملُ فأسي في أرض أمريكا المجهولة.

فأسٌ في يد شاعر لها مسمع متناغم!
تكتشف ذهباً وأحجاراً كريمة،
وأحجاراً ثرية ناعمة،
معبداً، أو تمثالاً مكسوراً.
ويمكن اكتشاف السر الهيروغليفي
الملهم.

من بين الضباب الزمني تتبعُ الحياةُ الغريبة
لشعوبٍ بادت،
الأسطورةُ الغامضةُ تضيء،
تكشفُ أسرارَ الجبال
التي تعلوها بقايا الآثار.

الأشجارُ العجوزُ تعرفُ المسيرات،
النضالَ، وطقوساً غابرة.
تنشدُ: ماذا تنشد؟
نشيداً لم يُسمع من قبل؟
بنى العصفور عشاً في فرع
(سمع هذا النشيد نساء "تولتيكا"[23]
ووشينَ بالأمير موكتيزومو القاهر)

---

[23]- تولتيكا، شعب من الشعوب التي عمرت المكسيك قبل وصول كولومبوس واكتشافه العالم الجديد، وأنشأ واحدة من أهم الحضارات دامت ما بين القرنين التاسع والحادي عشر الميلاد، وكانت عاصمتها "تولان" وهي "تولا" الحالية بالمكسيك.

فيما يمشي الفهدُ على الأوراق الجافة،
فطائر "الكيتزال"[24] يكشف لقوس قزح ريشته العظيمة،
وتدفعُ الآلهةُ ينبوعَ اللغة.
وعند هبوط المساء
ينبعُ الشفقُ مُلطخاً مظلته البربرية،
وينزعُ لغةَ موسيقى الريح
عن زنبقةٍ غريبة.

ويتنهد الشاعرُ نيتزاهوالكويوتي
ويخرجُ كاواكميتشين الإقطاعي النبيل للصيد،
يتبعُ صفاً مزدوجاً من سهامه البارعة.
ملامحهُ قويةٌ ومنتصرة.
يحملُ على جبهته دائرةً ذهبية
ويرى الشمسَ التي تصعدُ الغابات الضاجة
التي ترتعشُ فيها ريشةُ طائر "الكيتزال":

---

[24]– – طائر "الكيتزال" منقاره قصير وريشه ناعم وذيله طويل، يميل إلى الاخضرار عند الذكور ومنطفئ قليلا لدى إناثه، ويعتبر من الطيور التي تعيش على امتداد وسط أمريكا اللاتينية من المكسيك وحتى البيرو، ولكنه يتركز حاليا في جواتيمالا التي تتخذه شعارا على عملتها المحلية، وهو طائر متوطن يسكن المناطق الجبلية المرتفعة وفي أعالي أشجارها ولا يحب الهجرة، ويعتبر من الطيور الأسطورية في حضارة "المايا"،

إنه الصباحُ السحري للاستوائي المشتعل،
يسيرُ النهرُ المتدفقُ كحية كبرى،
تطفو على مياههِ الأوراق الجافة،
وينفثُ القماشُ الزجاجي تعرجات حادة،
الجسدُ المكعبُ الذي تجره السلحفاة،
أو ذيل التمساح الحديدي المجسم.

إلى جوار المستنقع المخضر،
على الأحجارِ الجافة،
ياقوتٌ، زجاجٌ، زفيرٌ،
ذباباتُ البخار الأرضي الطنانة
تمرُ ممزقةً النسيجَ الرقيق،
الكاملة بملمسها القطيفي الثري،
مروحةً الطينَ بمراوحها المزدوجة،
كما لو غيّبتها الفراشة الزرقاء.

تطن الغابات الطازجة بحرارة النهار،
ويطلقُ بخارُ الريح الأسود صرخته الحادة،
والصرصارُ يصعقُ الأخضرَ،
الحشائشَ الملتفة،
طائرُ الغابة يطلقُ صوتَه،
يطيلُ الأزيز احتراقه الخالد،
ويكررُ صوته رنين الواقع.

وتغزو السناجبُ الماهرةُ أشجارَ الافوكاتو،
ذيولُها مذبة رقيقة، وعينها الصغيرة تلمع،
وتحملُ أسنانها ثمار الأشجار المثمرة،
وبطيرانها السريع تطردُ الزنابير،
يمرُ المحتالُ والشقي الغامض،
منادياً الرفيقَ بضجيج حاد.

تطلقُ الغاباتُ البدائية زفيرَها الممتد،
تطيرُ الكيتزالاتُ المنزلقةُ عند أولِ صوت،
تدورُ حول الحياة الأرسطية،
وتنتظرُ السحليةُ إلى جوار الخضرة المخملية،
كإبنةٍ سريةٍ لجبل هندي،
تشجعُ "التيوتي"[25] الخفي للمعبد الأثتيكي المقدس.

---

[25]- يدعى أيضا "اورنيتو" وهو بطل إغريقي من القادة الذين هاجموا طروادة في المعركة الشهيرة ولكن بما أن الرياح كانت معاكسة فقد رغب في العودة إلى بلاده، وفي الطريق التقى الآلهة "أثينا" التي طالبته

يتركُ الإقطاعيُ الكبيرُ غابات الزمرد،
يسيرُ باتجاه قصره، تاركا الكنانة[26] خلفه،
الكنانة الذهبية الرقيقة التي تشع تحت الشمس الشقراء،
يسير حملة السهام من خلفه، وعلى أكتاف الخدم
الأرض المدماة، والوعول الجبلية
التي أدمتها العصي المطاطية الصلبة.

يسيرُ، يصلُ الزعيمُ النبيل إلى القصر المنيف،
يدخلُ من الأبواب البلوطية المربعة،
"اوزوتسكيج"، ابنته الرقيقة،
ترى الأب القوي،
وفجأة تُسمع ضوضاءَ مكتومة لصوتٍ عميق.
هل هو من الجبل المحيط بالمدينة؟
لا، أيها الإقطاعي، هذه الضوضاء من الشعب "البيبيلي"[27].

بعدم ترك المعركة، فغضب وأصابها بجرح في ساقها، وسار في طريقه باتجاه بلاده

[26]– الكنانة: جراب يضع فيه رامي القوس سهامه

[27]– اسم جماعة قبلية من السكان الأصليين تعيش في مناطق وسط أمريكا اللاتينية، جواتيمالا وهندوراس والسلفادور، ويتحدثون لغة "ناهوا" الخاصة بهم.

كعاصفةٍ بشريةٍ تدوي وتدمر
يصمُ المدينة بالهمهمة المرعبة،
يسيرُ أبناء "الهويتزول"[28] باتجاه القصر،
أولاً، يتزيون بمائة ريشة متعددة الألوان،
وكبار الكهنة، وعظماء الأثرياء،
الذين يحملون عباءاتهم برفعة وأنفة،

من خلفهم المحاربون، من ذوي الأذرع الشديدة،
من يحملونُ دروعاً من المعدن والقرون،
جنود "ساكولين"[29]، جنود "نيباج"[30]،
وأخيراً، الزهاريون[31]، والمتوحشون.
والجسدُ معقودٌ وأحمر بالوشم الأسطوري،
"سيليس" الجبال، بأقواس وكراج.

---

[28]- ملك اثتيكي حكم في الفترة من 1468 إلى 1503، بعد أن خلف شقيقه على عرش بلاده وفي عهده توسعت مملكة "تينوتشتيتلان"

[29]- تشير الكلمة إلى انتماء هؤلاء الجنود إلى النبلاء في بلادهم

[30]- إحدى القبائل الثلاث التي تشكل شعوب منطقة وسط أمريكا وأكبرها من حيث العدد

[31]- هذه الكلمة تعني: المتمردون، المتوحشون، الجندي صعب المراس.. ألخ

كما الصخرة يحيط النهر بالقصر،
ترتفع أصواته المطردة في الفضاء،
كصوتش جبل أو صوت عاصفة:
هناك شبابٌ أقوياء كالوحوش يزأرون،
وشيوخٌ تعّدوا المائة كالتمائم،
سحرةٌ يتوسلون بـــ"تاماجاستاد"[32] الكبير.

وفي المقدمة يسير بنبالة
"تاكيج"[33]، الشاعرُ المؤمنُ الشجاع،
الذي يشعُ من عينيه نور الرؤية.
يعلقُ في عنقه تميمةً "كتزالية"[34] من الذهب،
وفي أقدامهِ المشعّرة قطع من جلد الثور،
ويرفعُ جبهته، مترفعاً كأسد شاب.

---

[32]– اله قبيلة "تشوروتيجاس" التي تقيم في نيكارجوا وشمال كوستاريكا
[33]– تعني الشاعر المتمرد على الإقطاع
[34]– مصنوعة من ريش طيور الكيتزال

من الباب يُرى الإقطاعي منتصباً،
يرفع "تاجيك" ذراعيه، إشارته كسد
يحتضنُ التيارَ الكبيرَ المتوترَ والصوت.
"كواكومانتشين"[35]، متباهياً،
يعتمدُ على قوسه اللين،
وفي شفتيه علامات السخرية،
يرسمُ بحاجبيه دائرة الرعب.

دائرة يطلق منها سهم نظرته
على الألف رأس المتجمعة،
دائرةٌ كدائرة قوس العاصفة.
و"تاجيك" يتحدث إلى الأمير الذي يستمع إليه بهدوء:
وعليه ملامح الكلمة المرعبة،
كالرعد الإلهي كان غضب "تيتان".
"كواكومانتشين"، يحدثك الجبل بلغتي، الآن،
الأرضُ غاضبةٌ، والجنس البيلبيلي يبكي،
ولعنتك السنوية، حية-تاكوازين.
أنتَ وحشٌ جبانٌ يحكمُ قطيعاً.

---

[35]- آخر الإقطاعيين قبيل وصول الغزاة الأسبان إلى منطقة وسط أمريكا اللاتينية

لماذا أرقتَ دماءَ البيبليين
كفهدٍ جبلي، كواكومانتشين، كواكومانتشين؟

كواكومانتشين، الملكُ الثامنُ للمكسيكيين
كان عظيماً، إذا فتح أصابع يده
تغمم الشمس أكثر من مليون سهم،
كان عرشُه ذهباً خالصاً، ومجلسهُ،
يعظّم الحكيم كثيراً،
ويطلب نصيحة الشيخ،
هراوته كانت ثقيلة، يسميها "اهويتزول".

"كومانتشين" الملكُ الثامنُ للمكسيكيين،
كان عملاقاً، لو فرد أصابع يده
تغمم الشمس أكثر من مليون سهم،
كان عرشه ذهباً خالصاً،
ومجلسه من الحكماء إذا طلب منهم النصيحة،

أركانه مزينةٌ بالزمرد والجلود
والزعماءُ يحيطونَ به،
يخافون الصراعَ مع المكسيكي القوي،
كان كما الآلهة، السهم في يده
كالرعد البارق.

أراد يوماً أن يكون مسالماً،
وأن تتوسعَ ممالكه، كان هذا حقه،
وكانت في جواتيمالا أراضٍ خصبة،
وبكراً، وجبالٍ خالية،
أرسل الزعيم خمسة رجال لغزو الأرض،
بلا رماح، ولا دروع، ولا خوذات حربية،
بلا قوى ضاربة ولا قنابل عسكرية.

كانوا خمسةً من شعب البيبيل،
كانوا من آبائنا،
كانوا مزارعين، وفلاحين ومروضي حيوانات،
يعملون في سلام، ويبذرون النيلة،
يطبخون الملاط، يبيعونَ الجلودَ والطيورَ،
وهكذا أنشأوا ووضعوا قواعدَ حضارة البيبيل
الزاهرة.

البيبيل، تعني الطفل،
إنها عبقريةٌ ووضوح،
كان بينهم شيخٌ بفرسه الأبيض،
ونظر إليه الجميع بجلال،
وجاء غلامٌ جميلٌ يمزقُ الجبال طرقاً
ويقذفُ النسورَ بسهامه الطائرة،
كان يغني فرحاً تحت العاصفة.

مات الملك، والموت سيد كل الملوك،
كوّن آباؤنا قوانيننا المقدسة،
تحدثوا مع الآلهة بلسان الحقيقة،
وفي يوم من الأيام، وفي لحظة مضيئة
طلبَ أحد الشيوخ القسم،
إنه لن يشرب من دم أضحية بشرية،
فالدمُ سكونٌ أحمر للإله.
لهذا لم يقدم البيبيل التضحيةَ البشريةَ أبداً،
نقطعُ من الموز الفواح عناقيداً،
لنقدمه للإله المقدس الأمين،
وتسيلُ السكينُ دمَ الحيوان،
لا دم بيبيلي بعد الآن، أيها الكوماتشين الملحد،
بعد أن قدمته أنتَ بالأمس في محرقتك.

"أنا الكاهن الإقطاعي المقاتل!
تماماً كما قال الزعيم،
إنه يصرخ في الناس:
"إذا كان النمرُ قد ابرز مخالبه، فليكن إذن ما يريد"
وكما العاصفة، كانت صرخات البشرية،
تهدأ لحظة لتعود من جديد.

"سهامُ للمقاتلِ، يطالبُ الإقطاعي القوي،
وكما لو لم يكن هناك من يشيرُ إلى الهجوم،
يظلُ مطلقو السهام في سكون، بلا صوت
"يا مطلقو السهام، الموت للنمر"،
يجيبُ هنديٌ غاضب،
يرفعُ الزعيمُ ذراعيه فيقفُ المقاتلُ
ممسكاً بدفعة السهم المنطلق.

والزعيمُ:
"إنه لا يليق بالسهم أو الرمح!
الأرض تهتز مطالبةً بالانتقام!
إلى الأحجار أيها البيبيليون،
عندها صمتَ الصوتُ الغاضبُ
للمنتقمين وبقيَ الزعيمُ الغاضبُ
غارقاً في الوحل ممزقاً،
شُوهدَ رجلٌ يسيرٌ مغنياً بصوتٍ مرتفع
أغنيةً مكسيكيةً.
كان يغني السماءَ والأرضَ
حمداً للآلهة، ولاعناً الحرب.
طالبوه: "هل تغني أنتَ السلامَ والعملَ؟"
"نعم".
"خذ القصرَ والحقلَ ومعداتِ الحرب،
حيي آلهتنا، وقدِّر شعبَ البيبيل"،
وهكذا بدأت مملكة "تتيكوتزيمي".

(النشيد المرتحل، 1907)

المحتوم

ملعونةٌ الشجرةُ التي لا تكاد تحس،
وملعونٌ أكثر الحجر الصلد لأنه لا يشعر،
لأنه ليس هناك ألمٌ أكبر من الألم الإنساني،
ولا أكبر إيلاماً من الحياة الواعية.

أن تحيا، دون أن تعرف شيئاً،
وأن تحيا دون توجه محدد،
والخوفُ مما كنته، والخوف من المستقبل....
والرعبُ المؤكدُ من أن تكون ميتاً في الغد،
والألمُ من الحياة ومن الظل ومن..

ما لا نعرفه ولا نكاد نتبينه،
واللحم الذي يعرينا بعناقيده الرطبة،
وألا نعرف إلى أين نسير،
ولا من أين جئنا...!

(أناشيد الحياة والأمل، باريس 1903)

في الكواكب

كان فيثاغورس يقرأُ في الكواكب،
وقرأ فيثاغورس في الكواكب:
لكنها اختلطت داخل روحي
روحُ فيثاغورس مع روح "اورفيو".

أعرفُ ما أكون، منذ زمن الجنة، أضحكُ،
أعرفُ إنني سرقتُ النارَ وسرقتُ التناغم،
وإن روحي جهنم ورغبتي عاصفة،
وإنني امتص اللانهائي ولا زلت أرغب...

لكن، ماذا سأفعل، إن كنتُ مربوطاً إلى الفرس،
وإن كنتُ قد ربحتُ الجائزة،
أردتُ دائماً أن أكون آخر،
وإنني، اثنان من الشيء نفسه، يربح أحديهما؟

تُعلمني السلحفاةُ الذهبيةُ في الرمال،
إلى أين تقود الملهماتُ جماعةَ الطرب،
وأين تفوز إرادة الله.

(الأعمال المتفرقة، 1908)

ابتهالات سيدنا "دون كيخوته"

ملكُ الفرسان الجوالين، ملكُ الحزانى
تندفعُ بالقوة وترتدي الأحلام،
متوجٌ بطاسة الحلم الذهبي،
لم ينتصرْ عليك أحد حتى الآن.
الترسُ في الذراع، من خيالٍ
ورمح مسنده القلب.

يا أنبل الرحالة،
قدّستَ كل الطرق،
بخطواتِ البطولة المهيبة،
ضد كل الحقائق، مواجهاً الوعي،
ومواجهاً القوانين وحقائقَ العلوم،
مواجهاً الأكاذيب، ومواجهاً الحقيقة.

الفارسُ الشاردً من الفوارس،
سيدُ كل الرجالِ، أميرُ الوحوش،
الكاملُ بين الكوامل، المعلمُ، أحييك!
تحيةً!، لأنكَ اليوم لا مكان لك
بين التصفيق أو الاحتقار،
وبين التيجان وبين التهاني،
وإشارات البلاهة الجماعية.

أنتَ، بين ما كان من انتصارات
قديمة،
وبين ما كان من أمجاد
حقيقية أو معلومة.
تحملّتَ المديحَ، والذكريات، والخطابات،
تحملّتَ الاحتفالات، والبطاقات، والمسابقات،
وبدلاً من الجائزة كانت لك كل الجوائز.

تسمع، رونالد الأحلام الإلهي،
عاشقاً لكالفلينيو،
وفرسه المقدس مندفعٌ نحوك،
تسمّع إشعارَ تلك اللاتينيات،
مصنوعةٌ من أشياء كل الأيام العادية،
وأخرى شاهدتَ سرها.

إدع لنا، نحن الجوعى إلى الحياة،
بروحٍ متشوقة، وبإيمانٍ مفقود،
ملئي بالكآبة وخفي عن ضوء الشمس،
بأرواحٍ تائهة،
تسخرُ من ابن "لا مانتشا"،
والكائنِ الكريمِ، والكائنِ الإسباني.

تضرّع من أجلنا، نحنُ في حاجة
إلى الأزهار السحرية،
وأوراق الغارِ السماوية،
يا سيدنا الأكبر،

(مزهريةُ الغارُ في العالم ترتعشُ،
وقبل أن يأتي شقيقك، "سيخيسموندو"[36]،
فإن هاملت الممتقع يقدم لك وردة).

تضرّع أيها الكريم، الرحيم، المرفوع الرأس،
تضرّع أيها الأصيل، النقي، السماوي، المندفع،
كن شفيعنا، تضرّع من أجلنا،
نكاد نفقد آخر أنفاسِنا، بلا أمل،
بلا روح، بلا حياة، بلا نور، بلا كيخوتي،
بلا أقدام وبلا أجنحة، بلا "سانشو"[37]، وبلا إله.

من كثرة الأحزان، والآلام الكثيرة،
ومن عظماء بشر "نيتشه"،
ومن الأناشيد، والوصفات التي يوقعها الطبيب،
من أوبئة المروق المرعب،
ومن الأكاديميات،
خلصنا يا سيدنا.

---

[36]– سيخيسموندو: شخصية مسرحية شهيرة
[37]– سانتشو بانثا: تابع دون كيخوتي في رواية ثربانتيس الشهيرة "دون كيخوته"

يا أنبل الرحالة
قدّستَ كل الطرق،
بخطواتِ البطولة المهيبة،
ضد كل الحقائق، مواجهاً الوعي،
ومواجهاً القوانينَ وحقائقَ العلوم،
مواجهاً الأكاذيبَ، ومواجهاً الحقيقة.

صلّ من أجلنا، يا سيد الحزانى،
تندفع بالقوة وترتدي الأحلام،
متوجٌ بطاسةِ الحلم الذهبي،
لم ينتصر عليكَ أحدٌ حتى الآن.
الترسُ في الذراع، من خيالٍ،
ورمحٌ مسنده القلب.

(أناشيد الحياة والأمل، باريس، 1905)

فيرلين

صلاة الجنازة

أيها الأب والمعلم السحري، الرغبة السماوية،
يا من منحت إلة الأولمب والصوت الرعوي
لكنتك الساحرة،
أنتَ خبزُ نفسك، كم من الجموع قد قُدتَ
نحو المُقَدس الذي يعشق روحك الحزينة
على وتيرة الصلاصل والطبول.

أن يُغطي تابوتك بزهور الربيع،
أن يُبرّدَ فمُ الوحش
بالحب،
إن مّر من هناك.

أن يُغطى تابوتك بزهور ربيع،
تبلل مَخْطم الوحش،
من الحب، نعم يمرّ من هناك،
إن الدوارَ الجنائزيُ يرتدي القطيفة،
أن يتزينَ إبريلُ الباردُ بزهورٍ مخضبة،
وقرنفلٍ من المرجان.

أن يودَ الغرابُ الوقوفَ على القبر
طارداً سوادَ الطائر الشرير،
الطربُ الشفافُ الجميل.
كي ينثرَ... على عظامه الحزينة،
آو تناغم الضحكات والقبلات الجميل،
بتبتلٍ خبئ ومزدهر.

أن يتقدمَ الجمالُ قرباناً،
ألا ينثر البكاء على تابوتك،
بل قطرات الندى، والنبيذ، والعسل،
أن يُزهرَ هناك الكرم، وزهور الليمون،
وأن تُسمع تنهيدات نساء غامضة
تحت أوراق غار رمزية!

وإن مرّ راعٍ تحت ظل شجر الزان،
في أيام عشق، كما في فيرجيل،
يجربُ وضع اسمك في الأغنية،
وإن عذراء جنيات الماء،
عندما تسمعُ هذا الاسم،
تدخلُ ما بين الاشتياق والخوف،
يملؤها الخوف والرغبة.

ليلاً، في الجبال،
في جبل الرؤى الأسود،
يمر ظلُ عملاقٍ غريب،
ظلُ كائنٍ خرافي،
تخاف هي من عظمته المرعبة،
من ناي لا بشري، تنطلقُ نغمة،
تدخلُ في تناغم كوكبي.

ويهربُ المُهر عبر الجبال الممتدة،
ويغسلُ وجهكَ العابرَ للموت القمر الأصيل

بنورٍ أبيض وحان،
ويتأملُ الكوبَ، من علياء جبلٍ بعيد،
ويتأملُ صليباً يرتفعُ مغطياً الأفق،
وشعاعاً يبرق على الصليب.

(نثر ملحد، 1896)

النبع

أيها الفتى،
أُقدمُ لك سرَ هذه الكأس الفضية،
لتروي في يوم ما الظمأ الحارق،
الظمأ الذي يقتلُ أكثرَ من الموت،
ويجبُ أن ترتوي فقط من نبعٍ.

ماءٌ آخرُ غير مائهِ يجب ألا يؤذيك،
يبحثُ عن تعبدهِ في مغارةٍ حية،
حيثُ تنطلقُ موسيقاهُ الزجاجية،
إلى جوار الشجرةِ البكّاءة والحجرِ الحساس.

اتبعْ صدى همهماته السرية،
تصعدُ عبر الكبرياء الحادة
وتهبطُ بالمثابرة باتجاه الجحيم.

مدخلُها القاتمُ يحرسهُ سبعةُ نمور،
إنها الخطايا السبع،
والوحوشُ السبعة.
املأ الكأس واشرب:
فالنبع في داخلك.

(نثر ملحد، 1896)

أبراجُ الله: الشعراء.

أبراجُ الله، أيها الشعراء!
مانعو الصواعق السماوية،
يا من تقاومونَ العواصفَ العاتية،
كأعرافٍ مختزلة،
كمناقيرَ برية،
مانعةً أمواج الأبدية.

الأملُ السحريُ يعلنُ عن يوم،
إنه على صخرة التناغم،
تظهرُ عروسُ البحر الغادرة.
انتظروا، لا نزال ننتظر.

انتظروا بعد
العنصر الخرافي يتوهج
في كراهيةِ الشعرِ المقدس،
ويُلقي وصمةً من عنصرٍ لعنصر.

تعاليمٌ من هم في الأسفل
تغمرُ المختارين،
وآكلُ لحومَ البشر يصارعُ شريحته
بلثةٍ حمراء وأسنان حادة.

أيتها القلاع، ارسمي البسمة،
ضعي في مواجهة هذا الشر وهذه الغيرة
ملمحاً من العجلة،
وهدوء بحرٍ وسماء....

(أناشيد الحياة والأمل، باريس، 1905)

هناك في البعيد

ثورٌ رأيته في طفولتي يوماً ما ينفثُ البخارَ،
تحت شمس نيكاراجوا المشتعلة ذهباً،
في المزرعة المثمرة،
قمة التناغم
الاستوائي،
حمامةُ غابات الرياح المضطربة
غابات الفؤوس،
الطيور والثيران
البرية،
أحييكمُ جميعاً،
فأنتم حياتي.

أيها الثور الثقيل،
أنتَ تمنحُ الفجرَ الحلو
الذي يطلب حليبَ البقرة الحلوب،
عندما كان وجودي كله أبيض ووردي،
وأنتِ، حمامةُ السهل والجبل،
تعنين في ربيعي الماضي
كل ما كان في الربيع الإلهي.

(أناشيد الحياة والأمل، باريس، 1905)

دوافع الذئب

الرجل الذي له قلبٌ من زنبق،
وروح من الخروب ، ولسان سماوي
كالحلو "فرانثيسكو دي أسيس"[38]
المرافق لحيوانٍ عبوسٍ ومتوحش،
إنه وحش مرعب، مصنوع من دم ولصوصية
إنه مزاودُ غضب، وعيون من شر
إنه ذئب "جوبيا"، الذئب المرعب
سعران، روعَ ما حوله
إنه قاسٍ لم يترك قطيعاً
أكل حملاناً، وأكل رعاةً
وقتلاهُ وآثارهُ المدمرة لا حصر لها

[38]- فرانثيسكو دي أسيس، قديس مسيحي

صيادونَ أقوياء مسلحون بالحديد
تحطموا أمامه، وترك آثار أنيابه القاسية
على الكلاب الشجاعة
كما ترك آثارها على التيوس والحملان

خرج فرانثيسكو:
وبحث عن الذئب
في جحره.
عثر على الوحش الضخم بالقرب من الكهف
الذي ما أن شاهده حتى هجم عليه بوحشية
أما فرانثيسكو فقد رفع صوته الرقيق
رافعاً يده،
وقال للذئب الغاضب:
-سلاماً يا أخي الذئب.
تأمل الحيوان الرجل ذي العباءة الخشنة
وتخلى عن شكله الغاضب
وأطبق فكيه المتوحشتين وقال:
-حسن، حسن، أخي فرانثيسكو.

فرد القديس: كيف؟
هل من العدل أن تعيش أنت بالرعب والموت؟
وهل الدماء التي تنثرها بأعمالك الشيطانية
والآلام والرعب الذي تنشره،
وبكاء الفلاحين، والصراخ،
وآلام مخلوقات الله الأعظم
لا تكفي لرواء عطشك الجحيمي،
هل أنت من الجحيم؟
هل صنع حقدك الأبدي من نار إبليس؟
ورد الذئب بتواضع:
-إنه الشتاء القاسي، فالجوع قاتل!
ولم أجد في الغابة المتجمدة ما يؤكل،
فبحثت عن الحيوانات الأليفة،
وأكلت أحياناً الحيوانات والراعي.
أما الدم؟
فقد شاهدتُ أكثر من صياد على جواده،
يحملُ السلاحَ في كفه
ويطاردُ الخنزيرَ البري أو الدبَ أو الغزالَ،
ورأيتُ أكثرهم ملطخين بالدماء

والجراح، والتعذيب
وسمعتُ الحشرجات المليئة بالغضب
لحيوانات الله سيدنا.
ولم يكن ذلك لإشباع جوع،
إنه لمجرد الصيد.
أجاب فرانثيسكو: توجد في الإنسان كوامن شريرة.
لأنه مولود بالخطيئة.
إنه لمحزن.
لأن روح الحيوان البسيطة أكثر طهارة.
وأنتَ سوف تجد منذ اليوم ما تأكله.
وسوف تتركَ القطعانَ وأهل هذه البلاد في سلام.
وأن يغير الله طباعك الجبلية!
-حسن يا أخي فرانثيسكو دي أسيس،
أعاهدك أمام الله الذي يحيي ويميت،
وأمدُ ساقي علامة على الأيمان بالقسم.
ومد الذئب ساقه إلى أخيه دي أسيس
الذي مد له يده هو الآخر،
وذهبا معاً إلى القرية،
ما أن شاهده الناس حتى نظروا إليه دون أن يصدقوا ما يرونه،

فقد كان الذئب المتوحش يسير خلف الكاهن،
خافضاً رأسه، ويتبعه في هدوء
كما لو كان كلبَ صيد، أو حملاً وديعاً.

طلب فرانثيسكو الناس إلى الساحة
ووعظهم هناك.
وقال: أمامكم الآن صيد لطيف.
الأخ الذئب يأتي معي،
وأقسم إنه لن يكون عدوكم بعد الآن،
ولن يكررَ هجماته الدموية.
وبالمقابل أن تقدموا انتم الطعام
لمخلق الله المسكين.
-ليكن ما تريد؟
أجابه كل سكان القرية.
وبعدها، علامة على الرضاء
حركَ الحيوانُ الطيبُ رأسه وذيله.
ودخل مع فرانثيسكو دي أسيس إلى الدير.

ظل الذئب هادئاً لبعض الوقت
في الحرم المقدس.

كانت أذناه تسمعانِ الصلوات
فتغرورق عيناه بالدموع.
تعلم ألف شكر ولعب ألف لعبة.
عندما كان يذهب إلى المطبخ خلف الرهبان.
وعندما كان يصلي فرانثيسكو صلاته
كان الذئب يلعق خفيه.
يخرج إلى الشارع،
يذهب إلى الجبال، ويهبط إلى السهل،
كان يدخل البيوتَ فيقدمون له شيئاً ليأكله،
وينظرون إليه ككلب أليف.
في يوم من الأيام، غاب فرانثيسكو،
والذئب اللطيف،
الذئب الأليف والطيب، الذئب الأمين.
اختفى، وعاد إلى الجبل.
وبدأ عواءه وهجماته من جديد.
وبدأ الإحساس بالرعب والخوف يحل
بين الجيران والرعاة،
وفاض الرعب فيما حولهم.
ولم تفلح الشجاعة ولا السلاح،

فالحيوان المتوحش
لم يوقف هجماته المتوحشة أبداً.
كما لو كان قد امتزج بنيران الشيطان

عندما عاد القديس الإلهي إلى القرية،
استقبله الجميع بالشكوى والعويل،
وقدموا له ألف شهادة على أقوالهم،
وعلى ما عانوه وما فقدوه بسبب
ذلك الذئب الشيطاني،
ناكر الجميل.

احتد فرانثيسكو دي أسيس
ورحل إلى الجبل،
بحثاً عن الذئب القاتل.
ووجده أمام كهفه،
وقال: باسم سيد هذا الكون المقدس
اسكت أيها الذئب الحانث
وأجبني، لماذا عدت إلى الشر؟
أجبني، فأنا أسمعك،

وكما في معركة صامتة أجاب الحيوان،
بفم ينفث الرغاوي والعيون تقدح شرراً،
أخي فرانثيسكو، لا تقترب كثيراً...
لقد كنتُ أنا مطمئناً هناك في الدير
وأخرج إلى القرية،
وأقنع بما يقدمونه لي،
وآكله بهدوء،
وأكثر من هذا، بدأتُ أشاهدُ أنه في كل البيوت
يسكن الحسد والحنق والغضب،
وتتقدُ نار الكراهية في كل الوجوه
وتعلوها الشهوانية والكذب
الأخوة يحاربون الأخوة،
في حرب يخسر فيها الضعفاء ويفوز الأشرار
المرأة والرجل ككلب وكلبة،
وفي يوم قرروا مطاردتي بالهراوات،
لأنهم رأوني متواضعاً، ألعق الأيدي والأقدام،
وأنفذُ تعليماتك المقدسة،
وكنتُ اعتبرَ كل المخلوقات إخوة لي:
أخوتي البشر، وأخوتي الثيران،

وأخواتي النجوم وإخوتي الحشرات،
وهكذا ضربوني وطردوني خارج القرية.
وكانت ضحكاتهم كماء مغلي
فنبعت من داخلي جذوة الوحشية،
وفجأة شعرت بأنني الذئب الشرير،
وأن هذا أفضل لي من كل أولئك الناس الأشرار،
وبدأت صراعي من هنا.
لأدافع عن نفسي وأحصل على طعامي،
كما يفعل الدب، والخنزير البري،
وللبقاء على قيد الحياة لا بد من القتل.
دعني أعيش في الجبل، بين الصخور،
دعني أحيا بحريتي.
واذهب إلى ديرك، يا أخي فرانثيسكو،
واصل طريقك، وواصل قدسيتك.

لم يقلْ القديسُ فرانثيسكو شيئاً.
نظر إليه نظرة عميقة،
وانطلقت منه الدموع والبكاء.
وتحدث من قلبه مع الله الباقي،
وحملت ريح الغابة صلواته،
والتي كانت:
يا أبانا، الذي في السماء.

مختارات من الأعمال النثرية

الحورية

(حكاية باريسية)

في القلعة التي اشترتها "ليسبيا" مؤخرا، تلك الممثلة الطموحة والمجنونة التي شغلت العالم بتصرفاتها الغريبة، كنا ستة من الأصدقاء نجلس إلى المائدة، فيما كانت "اسباسيا" تجلس على رأس المائدة، كانت كطفلة محبة للحلوى، تمضي وقتها في امتصاص قطعة من الحلوى السكرية الطازجة، البيضاء، بين أطراف أصابعها المحمرة. كانت ساعة تناول الشاي، الأحجار الكريمة تنعكس على زجاج المائدة كحلم مجهض، فيما أضواء الشمعدانات تضيع في الكؤوس نصف المملوءة، التي تبقى فيها القليل من السائل الضارب إلى الاحمرار، والقليل من الشمبانيا الذهبية، والسائل التركوازي لشراب النعناع.

كانت تتحدث باندفاع فنان موهوب، بعد غداء طيب. كنا جميعا فنانين، من بيننا من هو أفضل من الآخر، وكان بيننا حكيم ممتلئ يحمل على قمة استدارة كرشه العذري ربطة عنق ضخمة.

قال أحدهم: "آه، نعم، إنها "فرميت"". ومن "فرميت" انتقلنا إلى

حيواناتها، وأزميلها المحترف، وكلبين من البرونز، بالقرب منـــا، أحدهما يبحث عن الفريسة والآخر كما لو كان يتطلع إلى الصياد، يرفع رقبته ويحرك ذيله النحيل المستقيم القوي. مَنْ تحدث عـــن المتلصص؟ إنه الحكيم، الذي تلا بالإغريقية قصيدة: "أيها الصياد خذ صيدك بعيداً عن قطيع أبقارك، وإلا فإنك ستكون، كمن يتنفس كالبقرة المتلصصة، كما لو تريد أن تأخذها معك".

كانت "ليسبيا" قد انتهت للتو من امتصاص سكرها، وقالـــت بقهقهة أرجنتينية:

-باه، هذه المسوخ أحب إليّ، كنتُ أريـــدُ أن أمـــنح الحيـــاة لتماثيلي البرونزية، ولو كان هذا ممكناً، فإن عشيقي سيكون أحد هؤلاء العوّائين أنصاف الآلهة. أنبهكم إلى إننـــي أعشـــق هـــذه الحيوانات أكثر من المسوخ، ومستعدة لترك نفسي بين يدي أحـــد هذه الوحوش القوية، فقط لأستمع إلى شكوى المخدوعين، وهـــم يعزفون على ناياتهم المليئة بالأحزان.

قاطعها الحكيم:

-المسوخ والآلهة، والوحوش وعرائس البحر، وُجِدوا فـــي الدنيا، تماماً كالسلمندرات وطائر الفينيق.

ضحكنا جميعاً، ولكن ما بين قهقهات المجموعة، كان صوت الجميلة "ليسبيا" مسموعاً بوجهها المشتعل كـــامرأة جميلـــة تبـــدو مشتعلة باللذة.

واصل الحكيم:

-نعم، بأي حق نُنكر نحن المحدثون واقعاً أكده القدامى؟ الكلب العظيم الذي شاهده الإسكندر، بارتفاع قامة إنسان، إنه حقيقة، تماماً كعنكبوت "كاركن" الذي يعيش في أعماق البحار. والقديس "انطونيو الناسك"، البالغ التسعين من العمر، ذهب بحثاً عن العجوز "بابلو" الناسك في الجبال، الذي يعيش في كهف. "ليسبيا"، لا تضحكي، فقد كان القديس يبحث عن العاقر، معتمداً على عكازه، دون أن يعرف أين سيعثر على مَنْ يبحث عنه. وبعد كثير من السير، هل تعرفون من دله على الطريق الذي كان عليه أن يسلكه؟ مسخ. "نصف إنسان نصف حصان"، كما يقول المؤلف، كان يتكلم مثل ممسوس، هرب بسرعة كبيرة حتى فقده القديس من أمام عينيه، وكان المسخ يتقافز، شعره في السماء وبطنه على الأرض. في تلك الرحلة نفسها، شاهد القديس "انطونيو" مسخاً، "إنسان له هيئة غريبة، كان بالقرب من جدول، أنفه معقوف، وجبهته خشنة ومجعدة، وأسفل بطنه يعتمد على حوافر ماعز".

قالت "ليسبيا":

-تماماً، فقد كان "كوكورو" عضو المعهد المستقبلي.

واصل الحكيم:

-يؤكد القديس "خيرونيمو" إنه في زمن "قسطنطين الساحر" قاد إلى الإسكندرية مسخاً حياً، واحتفظوا بجسده بعد موته، إضافة إلى هذا، شاهده الإمبراطور "انتوكيا".

كانت "ليسبيا" قد ملأت كأسها بالنعناع من جديد، وبللت لسانها في الشراب الأخضر، تماماً كما يفعل حيوان من فصيلة القطط.

-يقول "البيرتو ماجينو" إنهم في زمنه عثروا على اثنين من المسوخ في جبال الساكسون. ويؤكد "انريكو ثورمانو" إنه في بلاد التتار كان هناك رجال بساق واحدة، وبذراع واحدة في الصدر. وشاهد "فينثينو" في زمنه وحشاً جاءوا به إلى ملك فرنسا، كانت له رأس كلب (تضحك ليسبيا)، وعضلاته وذراعاه ويداه كانت عارية من الشعر مثلنا (تهتز ليسبيا كطفل يدغدغونه)، كان يأكل لحماً مطبوخاً، ويشرب النبيذ بشراهة.

صرخت ليسبيا:

-"كولومبين"!

وجاء "كولومبين"، إنه كلب يبدو كما لو كان مكعباً من القطن. أخذته سيدته بين يديها، وما بين انفجار ضحكات الآخرين:

-خذ، إنه المسخ الذي كان على شاكلته!

وقبلته في فمه، فيما كان الحيوان ينفخ أنفه كما لو كان مفعماً بالشهوانية.

أنهي الحكيم حديثه برقة:

-و"فيليجون تاليانو" يؤكد وجود نوعين من المسوخ، أحدها كالفيل.

قالت "ليسبيا" وقد أنهت كأس النعناع:

-كفى علماً، أنا كنت سعيدة، ولم أفتح شفتي بعد.

صرخت:

-أوه، بالنسبة لي هي الحوريات، فإنني متشوقة لرؤية تلك العاريات في الغابات والينابيع، لكن الحوريات أكذوبة!

انتهى هذا اللقاء السعيد بانطلاق ضحكة كبيرة.

قالت لي "ليسبيا"، وهي تلسعني بعينيها وصوتها الهامس حتى أسمعه أنا وحدي:

-وماذا بعد، الحوريات حقيقة واقعية، وستراهن أنت!

كان اليوم ربيعياً. كنتُ أتصعلكُ في حدائق القلعة، وتبدو عليّ هيئة حالم قاسي. والطيور تصرخ على زهور الليلك المتفتحة، وتهاجم جعارين تدافع عن نفسها بدروعها اللازوردية، ومنقايرها المذهبة المدرعة. وبين الزهور القانية، والأقحوانية، تنطلق دوائر من العطر الجميل، تنتشر أقوى من القرنفلات، في

جماعات كبيرة، بألوانها الوديعة العذرية. بعد ذلك، الأشجار العالية، والأفرع المتهدلة المليئة بالزنابير، والتماثيل تحت الظلال، وتمثيل رماة الأقراص البرونزية، والمصارعون ذوي العضلات في تشكيلاتهم الهندسية المرعبة، والساحات الفوّاحة المغطاة بأبوابها المتداخلة، والجذوع المستنسخة الجميلة، والأعمدة المنحوتة الشهوانية البيضاء. كنتُ أتصعلكُ بين شراك تلك الروائع عندما سمعت ضجة، هناك في ظلال الأشجار المتشابكة، في البحيرة حيث توجد الأوزات البيضاء التي تبدو كمنحوتات من الرخام، وأخريات نصف أعناقها بلون الأبنوس، كساق شفقية بجورب أسود.

اقتربتُ أكثر، هل كنتُ أحلم؟ "نوما" لقد شعرت مثلك، عندما شاهدت "ايخيريا" لأول مرة في سجنها.

كانت في منتصف البحيرة، بين الضجة والأوزات الفزعة، جذعها كان على السطح الرغوي يبدو ذهبيا أحياناً بفعل انعكاس الضوء الشارد القادم من بين انفراجات الأوراق. آه، أنا شاهدت الليلك، والأزهار، والجليد والذهب، رأيتُ مثالاً في تشكل حياتي، وسمعتُ، ما بين زخات المياه التي تطلقها الحورية الجريحة، صوت ضحكة ساخرة ومتناغمة أشعلت دمي.

وفجأة هربت الرؤية، لقد ظهرت حورية البحيرة، تشبه "آلة

موسيقية" في تموجاتها، تجمع خصلات شعرها، التي تتساقط منها قطرات لامعة، هرولتُ بين أشجار الورد، واختبأتُ خلف الليالك والقرنفلات، وراء الأشجار المتشابكة، حتى اختفت. آي، في منعطف بين الأشجار بقيتُ أنا الشاعر الغنائي، متحسراً، والطيور محيطة بي كما لو كانت تسخر مني، تمد إليّ أعناقها الطويلة بمناقيرها اللامعة.

بعد ذلك، كنتُ أتناول طعام الغداء مع رفاق الليلة الماضية، كان يجلس بين الجميع، مغترا بكرشه وربطة عنقه الضخمة، المعلم الثخين، عضو المعهد المستقبلي.

وفجأة، وبينما كان الجميع يتحدث عن آخر أعمال "فيرميت" في الصالون، هتفت "ليسبيا" بصوتها الباريسي السعيد:

-أنتَ، كما يقول "تارتارين"، إن الشاعر شاهد الحوريات...

تأملها الجميع في ذهول، فيما كانت هي تنظر إليّ، تنظر إليّ بعيني قطة، وتضحك كطفلة يدغدغونها.

العصفور الأزرق

باريس مسرح مسلٍ ورهيب، من بين رواد مقهى "بلـــومبير" العديد من الشباب الطيبين والحازمين: فنانون ومثـــالون وكتُـــاب وشعراء، نعم كلهم يبحثون عن تاج الغار الأخضر القديم، لكن لم يكن أياً منهم محبوباً كما كان ذلك المسكين "جارثين"، كان حزيناً بشكل شبه دائم، مدمناً على الشراب، حالماً إلى درجة إنه لم يغب عن وعيه أبداً، كان بوهيمياً لا غبار عليه، وعفوي الخاطر.

بداخل الغرفة القديمة كانت هناك لقاءاتنا المرحة، التي يحتفظ بمرحها جص الحوائط، ما بين بقايا القهوة وملامـــح "ديلاكـــروا" المستقبلية، أشعار ومقاطع كاملة مكتوبة بحروف مهملـــة لاســـم رفيقنا: العصفور الأزرق.

لم يكن العصفور الأزرق سوى "جارثين". ألا تعرفون لماذا كانوا يطلقون عليه هذا الاسم؟ نحن من عمّدناه بهذا الاسم.

لم يكن ذلك مجرد رغبة عابرة منا، لقد كانت لـــذلك الفتـــى

الطيب ملامح النبيذ الحزين، وعندما سألناه عن السبب، وبينما كنا نضحك جميعا بهزل أو كطفوليين، قطّب جبينه ونظرَ بتعمق في السماء المسطحة، أجابنا وعلى شفتيه ملامح ابتسامة مرة:

– يا رفاقي: عليكم أن تعرفوا أن في عقلي عصفورا أزرق، ولهذا السبب...

كل ما في الأمر أنه كان محبا للرفقة الجديدة، عندما يحين فصل الربيع، كان هواء الغابة ينعش رئتيه، كما كان يؤكد لنا الشاعر.

كان يعود من نزهاته محملاً بباقات الفيوليت وبكراسات ضخمة مبكرة، مكتوبة تحت ضجيج الأوراق وأسفل السماء الواسعة الخالية من السحاب، كانت زهور الفيوليت لـ "ناني"، جارته، فتاة ندية ومزهرة، لها عينان زرقاوان جداً.

الأشعار كانت لنا، نحن كنا نقرأها ونصفق لها، كل منا له إعجابه الخاص بـ"جارثين"، كان عبقرياً في حاجة إلى الشهرة، لكن سيأتي زمن قادم، آه، سيطير فيه العصفور الأزرق عالياً، برافو، برافو!، إيه أيها الفتى الغر، مزيداً من الشراب.

مبادئ "جارثين":

من الزهور، زهور الأجراس اللطيفة.

ما بين الأحجار الكريمة، يكون العصفر.
من المساحات الشاسعة،
السماء والحب،
أي، عينا "تاني".

ويكرر الشاعر: أعتقد إنه من الأفضل الإصابة بالاختلال العصبي عن الإصابة بالغباء.

كان "جارثين" يبدو أحياناً أكثر حزناً من المعتاد.

كان يسير في الحدائق، يراقب بلا اهتمام العربات الفارهة التي تجرها الخيول تمر من أمامه، والنساء الأنيقات الجميلات، حين كان يقف أمام واجهة عرض محل مجوهرات، يبتسم، لكن عندما يمر بالقرب من مخزن للكتب، يقترب من واجهته الزجاجية، وحين يشاهد الطبعات الأنيقة، يعلن بجزم عن إحساسه بالغيرة، يقطب جبينه، كنوع من التنفيس عن غيظه، يتوجه بنظره نحو السماء ويتنهد بعمق، يجري باتجاه المقهى بحثاً عنا، مغتاظاً، وحانقاً، يطلب كأس شرابه، ويقول لنا:

– نعم، في قفص عقلي يوجد عصفورا أزرق يطالب بحريته...

كان هناك من يعتقد أنه فاقد لعقله.

وصفه أحد أخصائي الأمراض العصبية بعد أن أخبروه بحالته، بأنه حالة عصبية خاصة، وإن دراسته تؤكد هذا بشكل قاطع.

بشكل قاطع، فإن "جارثين" البائس مجنون.

في يوم من الأيام تلقى من أبيه، عجوز ينتمي إلى مقاطعة نورماندیا، وتاجر فقير، تلقى رسالة تقول ما معناه، تقريبا:

"أعرف ممارساتك الجنونية في باريس، إذا استمر وضعك على هذا الحال، لن تحصل مني على سنتيم واحد، تعال لتأخذ كتبك من مخزني، وعندما تحرقها، أيها الكسول، وكذلك تحرق كتاباتك البلهاء، سوف تحصل على مالي".

قرأ علينا هذه الرسالة في مقهى "بلومبير".

-أتذهب؟

-بالطبع لن تذهب؟

-هل تقبل؟

-هل تستخف بهذه الرسالة؟

نحييك يا "جارثين"، قام بتمزيق الرسالة، وقفزت الدماء في عروقه وارتجل بعض المقاطع، التي تنتهي، فيما أذكر بالأبيات

التالية:

نعم، أنت كسول دائماً،

وهو ما أحييك عليه وأهنئك

مادام عقلي سيظل

قفصا لعصفور أزرق.

منذ ذلك الوقت تغيّر حال "جارثين"، تحوّل إلى ثرثار كثير الكلام، وغرق في حالة من السعادة، اشترى سترة جديدة وبدأ في كتابة قصيدة ثلاثية، تحمل عنوان، بالطبع: العصفور ***الأزرق***.

كل ليلة في لقائنا يقرأ علينا جزءاً جديداً من القصيدة، كانت رائعة، وخارجة عن المعتاد.

كانت السماء جميلة جداً، ورفقة لطيفة جداً، بلاد تنبت كما لو كانت سحر فرشاة "كوروت"، وجوه أطفال تطل من بين الزهور، وعينا "تيني" دامعتان وكبيرتان، وبالإضافة إلى هذا، فإن الله الطيب كان يرسل عصفوراً أزرق يطير، يطير على كل هذا، ودون أن نعرف كيف ولا متى، بنى عشه في عقل الشاعر، حيث بقي سجيناً. عندما كان يريد العصفور الطيران ويفتح جناحيه ترتطمان بجدار الجمجمة، يرفع عينيه إلى السماء، ويقطب جبينه ويشرب كأسه بقليل من الماء، مدخناً أيضاً، سيجارة من الورق.

إنها القصيدة هنا.

في إحدى الليالي جاء "جارثين" ضاحكاً ومع ذلك كان حزيناً. الجارة الجميلة حملوها إلى المقابر.

– نبأ عاجل، نبأ عاجل، أغني لكم آخر جزء من قصيدتي: "تيني" ماتت، **الربيع يأتي و"تيني" تذهب، أوفر زهرات الفيوليت للرفاق**، وينقص الآن آخر جزء من القصيدة، أعرف أن الناشرين لن يكلفوا أنفسهم ولا حتى مجرد قراءة أبياتي الشعرية، وأنتم ستنفضّون عني قريباً، إنه قانون الزمن، ونهاية القصيدة يجب أن يكون عنوانها هكذا: ***كيف يطير العصفور الأزرق باتجاه السماء الزرقاء.***

الربيع في تمامه، الأشجار مزهرة، السحابات ورديـة عند الشروق وشاحبة وقت الغروب، الهواء الرقيق الذي يحرك أوراق الأشجار، يثير الأفرع الجافة بحفيف خاص، لكن "جارثين" لم يذهب إلى الحقل.

إنه هناك، قادم مرتدياً بدلة جديدة باتجاه مقهانا المحبب "مقهي بلومبير"، كان شاحباً، وعلى شفتيه ابتسامة حزينة.

– يا أصدقائي، عانقوني، عانقوني جميعاً، هكذا بقوة، ودعوني، بكل قلوبكم، بكل احساساتكم، ... فالعصفور الأزرق يطير...

ثم بكى "جارثين" المسكين، صافحنا، شدّ على أيدينا بكل قواه وإيمانه.

قلنا له جميعا:

– "جارثين"، الابن المدهش، يبحث عن أبيه، النورماندي العجوز، يا ربات الإلهام، وداعاً، وداعاً، وشكراً، لقد قرر شاعرنا اختبار قواه، إيه، فلنشرب كأساً في نخب "جارثين".

جميعنا رواد مقهى "بلومبير" كنا في اليوم التالي، شاحبين، مرتعبين، والحزن على الوجوه، التقينا في غرفة "جارثين". كان هو في سريره، على الشراشف المخضبة بالدماء، وجمجمته حطمتها رصاصة واحدة، وكان على الوسادة بعضا من مخه... كان رهيباً.

بعد أن أفقنا من ذهولنا، استطعنا أن نبكي أمام جسد صديقنا، ووجدنا أنه كان يحمل معه قصيدته الشهيرة. وفي الصفحات كتب الكلمات التالية:

"اليوم، في اكتمال الربيع، أترك باب القفص مفتوحًا للعصفور الأزرق المسكين".

آي، "جارثين"، ما أكثر من يحملون في عقولهم العصفور نفسه.

الطرد

هناك في البعيد، في الخط الأفقي المرسوم بقلم أزرق، الذي يفصل المياه عن السماوات، كانت الشمس تغرق، بترابها الذهبي ودواماتها ذات الشرر الضارب إلى الحمرة، تبدو كقرص حديدي كبير يتقد. وبدأ الهدوء يلف الرصيف الجمركي، الحراس يسيرون من اتجاه إلى آخر، والقبعات غارقة في الرؤوس حتى الحواجب، يلقون نظرة هنا وأخرى هناك. وكان ذراع الرافعة ساكنا، وعمال اليومية يسيرون باتجاه بيوتهم. الماء يهمهم من تحت الرصيف بصوت خفيض، والرياح الرطبة الملحية، تهب من البحر باتجاه الخارج ساعة صعود الليل، تحافظ على القوارب في حالة حركة هدهدة دائمة.

كان أصحاب اللنشات قد غادروها، عدا العم "لوكاس" العجوز، الذي كانت قدمه قد التوت هذا الصباح عند صعوده على كومة من الكارتون، والذي رغم عرجه فقد عمل طوال النهار، كان يجلس على حجر والغليون في فمه، يرى البحر حزيناً.

-إيه، أيها العم "لوكاس"! أتستريح؟

-نعم، لأن صاحب القارب.

وبدأ الحوار، حوار لطيف وطليق يسعدني أن أمده مع الرجال الأقوياء الذين يعيشون حياة العمل المثمرة، الحياة التي تمنح الصحة الجيدة وقوة العضلات، وتموت مع التفتح وغليان الدم في العروق.

كنت أرى ذلك العجوز الخشن باعتزاز، وكنت أستمع لحكاياته باهتمام، وهكذا، وكل قصصه، كله كرجل عريض ولكنه بصدر ذكي، آه، إذن لقد كان عسكريا! وإنه في شبابه كان جندياً مجنداً لأداء الخدمة العسكرية الإجبارية، وإنه قاوم الذهاب ببندقية إلى "ميرافلوريس"، وإنه متزوج، وكان لديه ولد...

وهناك تحدث العم "لوكاس":

-نعم يا سيدي، مات مني قبل عامين فقط!

تلك العينان، الصغيرتان اللامعتان تحت الحواجب الرمادية والكثيفة، دمعتا حينها.

-ماذا، أتسأل كيف مات؟ خلال العمل ليمنحنا الغذاء جميعا: زوجتي والصغار وأنا، يا سيدي، لأنني حينها كنت مريضا.

وأشار إلى كل هذا، عندما بدأت تلك الليلة، بينما كانت الأمواج تتدثر بالضباب وتنهض المدينة بأضوائها، كان هو، يجلس على الحجر الذي يستخدمه ككرسي، وبعد أن أطفأ غليونه الأسود ووضعه خلف أذنه، ومدد ساقيه النحيلتين المعروقتين

عقدهما ووضع أحداهما على الأخرى، وغطاهما ببنطاله القذر المشمر حتى الكعبين.

لقد كان الفتى شريفاً جداً ومجتهداً في عمله جداً، أراد أن يرسله إلى المدرسة منذ بدأ يكبر، لكن الفقراء لا يجب أن يتعلموا القراءة عندما تئن المعدة من الجوع!.

كان العم "لوكاس" متزوجاً، ولديه الكثير من الأبناء.

وكانت زوجته تحمل لعنة بطن الفقيرات: الخصوبة. وبالتالي كانت هناك أفواه كثيرة تحتاج الطعام. أطفال قذرون كثيرون ينبشون في القمامة، وأجساد كثيرة نحيلة ترتعش من البرد: وكان يجب العمل للعودة بما يؤكل، والبحث عن خرق للبس، وللحصول على كل هذا يجب أن ينقطع النفس والعمل كثور صغير.

عندما كبر الابن، ساعد الأب، وأراد الجار، الحداد، أن يعلمه مهنة صناعته، ولكن لأنه كان وقتها نحيلاً جداً، يكاد يكون هيكلاً عظمياً، فقد كان عليه أن ينفخ في الكور، أصابه المرض وعاد إلى الدير من جديد، آه، لقد كان مريضاً جدا! لكنه لم يمت. لم يمت! وهذا رغم إنه كان يعيش في أحد التجمعات البشرية المكدسة، بين أربعة جدران كالحة، وعجائز شائهات، وفي حارة تعج بالنساء الضائعات، ونتنة طول الوقت، وتضاء بالليل بعدد قليل من الفوانيس، وتحت سيطرة كاملة من القوادين، وأصوات القيثارات والاكورديونات، وضجيج البحارة الذين يأتون إلى

المبغى، وقد فقدوا صبرهم من طول عذاب الرحلات البحرية الطويلة، ليسكروا حتى الثمالة. يصرخون ويتعاركون كمحكوم عليهم بالإعدام، نعم! بين كل هذه الجموع القذرة، وبين ضوضاء الاحتفالات المعربدة، عاش الصبي، وسرعان ما تعافى ووقف على قدميه...

وبعدها بلغ الخامسة عشرة من عمره.

كان العم "لوكاس"، بعد تخليه عن آلاف الاحتياجات الضرورية، قد استطاع شراء قارب، وعمل في الصيد.

وعند بزوغ الفجر، كان يهبط إلى الماء مع صبيه، حاملاً أدوات الصيد. أحدهما يجدف والآخر يضع الطعم في الشص.

وكانا يعودان إلى الشاطئ على أمل أن يبيعا ما اصطاداه، بين النسمة الباردة ومقاومة الضباب، كانا يغنيان أغنية "حزينة" بصوت خفيض، ويضربان بالمجداف المنتصر حتى يصعد الزبد من الماء.

عندما تكون حصيلة البيع طيبة يخرجان لجولة صيد أخرى في المساء.

في أحد أيام الشتاء كانت هناك عاصفة، والأب والابن في القارب الصغير، يعانيان في البحر جنون موجة وهبة ريح، كان الوصول إلى اليابسة صعباً، ذهبت حصيلة الصيد وكل ما يملكان إلى الماء، ولم يكن هناك تفكير سوى في إنقاذ النفس، صارعا في

يأس للوصول إلى الشاطئ، وكان قريبين منه، لكن موجة ملعونة ألقت بهما نحو صخرة، فتحطم القارب، أما هما فقد خرجا من الاصطدام بجروح طفيفة، بفضل الله، كما يقول العم "لوكاس" حين يحكي ما حدث. بعدها، تحولا إلى حمّالين.

نعم، حمّالان، على السفن الكبيرة السوداء، يتسلقان السلاسل المعلقة التي تبدو كثعابين من الحديد الصلب التي تشبه حبال المشانق، يحركان سيقانهما ذهاباً وعودة من الرصيف إلى الدخان ومن الدخان إلى الرصيف صارخين: هوووب! عندما يدفعان الطرود الضخمة ليعلقانها في الخطاف الذي يرفعها متأرجحة كبندول، نعم! حمّالان، الشيخ والصبي، الأب والابن، كلاهما معلق على صندوق، كلاهما يتدافع، كلاهما يكسب قوته باليومية، من أجلهما ومن أجل مصاصي الدماء في الدير.

كانا يذهبان إلى العمل كل يوم، يرتديان ملابس مهلهلة ويحزمان وسطيهما بأحزمة ملونة، وتصدر أحذيتهما الثقيلة والجافة أصواتاً على الأرض وينزعانها عندما يبدآن العمل، ويلقيان بها في أحد الأركان.

يبدآن المهمة، بالتحميل والتفريغ، كان الأب حريصا: "يا فتى، احم رأسك، احترس ألا تضع يدك تحت الخطاف، أنت على وشك أن تفقد إصبعاً"، ويعلمه ويدربه، ويوجه ابنه، على طريقته، بكلمات جافة لعامل شيخ وأب معتز بأبوته.

إلى أن جاء يوم لم يستطع فيه العم "لوكاس" الحركة من السرير، لأن الروماتيزم يؤلم ركبتيه وينشر عظامه.

أوه، كان لا بد من شراء الدواء والطعام، هذا أمر محتوم.

-هيا يا بني، إلى العمل، بحثاً عن المال، اليوم يوم سبت.

وذهب الابن، وحيداً، مسرعاً تقريباً، ودون إفطار، إلى المهمة اليومية.

كان اليوم جميلاً وضوءه وضاحا، والشمس من ذهب، وعلى الرصيف تجري العربات على قضبانها، وتصدر العجلات أصواتاً، وتتصادم السلاسل، وكان تداخل العمل الذي يصيب بالدوار كبيراً: حركة الحديد والريح التي تمر عبر الغابات الشجرية وتحرك السفن في مجموعات.

تحت أحد خطاطيف الرصيف كان ابن العم "لوكاس" مع حمّالين آخرين، يفرغون شحنة في استعجال، كان يجب تفريغ اللنش المحمّل بالطرود، ومن وقت لآخر يخفضون السلسلة الطويلة التي تنتهي بخطاف، والتي تصدر صوتاً مزعجاً عندما تجري على الرولمان، يحزم الفتيان الطرود بحبل مزدوج، ويعلقونه في الخطاف، ويبدأون في رفعها كصيد معلق في سنارة، أو في رصاص حبل سري، ثم يبتعدون ويهتز الطرد من جانب إلى آخر كمطرقة جرس تدق في الفراغ.

كانت الحمولة متراكمة، والأمواج تحرك السفينة المحملة بالطرود من جانب إلى آخر بشكل رتيب. الطرود متراصة بعضها فوق بعض على شكل هرمي في وسط السفينة، أحدها كان ثقيلاً جداً، فقد كان أكبرها جميعاً، عريض ومثقل وملون بألوان زاهية، جاء من أعماق اللنش، لو وقف رجل عليه لبدا كتمثال صغير بالنسبة للطرد الثقيل.

كان شيئا مثل كل الأشياء الركيكة التي تستورد من الخارج، محمّلة ومربوطة بشنابر من الحديد. تمتد على الجانبين وفي خط المنتصف، وفي مستطيل أسود كانت هناك حروف تبرز كعيون بارقة، حروف من "الماس"، كما يقول العم "لوكاس". كانت شنابره الحديدية مضمومة بمسامير ذات رؤوس حادة وجافة، وبداخله يرقد المارد، على الأقل، من اللينوه أو قماش القطن.

لم ينقص سوى هو.

-احترسوا من الثقيل؟ قال أحد الحمّالين.

-ذو الكرش الكبير!

أضاف آخر.

وابن العم "لوكاس"، الذي كان متشوقاً إلى إنهاء العمل بسرعة، ليقف في الطابور لتسلم يوميته والذهاب للإفطار، وكان يربط حول عنقه منديلاً مرسوماً على هيئة مربعات.

أرخى السلسلة التي كانت تتراقص في الهواء، ولف أنشوطة كبيرة حول الطرد، وتأكد من أنه مربوط بشكل جيد، وصرخ

"ارفع"، فيما كانت السلسلة تشد الطرد مصدرة صوتاً مزعجاً وترفعه عن الأرض.

كان الحمّالون يقفون لمتابعة صعود الطرد الثقيل، وعلى استعداد لمغادرة اللنش باتجاه اليابسة، فجأة شاهدوا شيئاً مريعاً، الطرد، الطرد الكبير، انزلق من الانشوطة، كما لو كان كلباً تنزلق رأسه من مربطه، وسقط على ابن العم "لوكاس" الذي يقف بين حافة اللنش والمكان الذي سقط فيه الطرد فحطمه، ودمر جسده وفكك عموده الفقري واندفع الدم من فمه.

في ذلك اليوم لم يكن هناك لا خبز ولا دواء للعم "لوكاس"، بل صبي محطم، يحتضنه باكياً. وبين بكاء الزوجة والأطفال، وحملوا الجثمان إلى المقابر.

ودّعتُ الشيخ الحمّال، وغادرت الرصيف بخطوات مطاطية، متخذاً الطريق إلى البيت، ومفلسفاً الأمور بكل ما اعتاد عليه الشاعر، فيما كانت تهب نسمة باردة، قادمة من البحر، تقرص الأنف والأذنين باحتقان.

الساتوري[39] الأطرش

كان يعيش بالقرب من جبل الأولمب "ساتوري" أطرش، وكان ملك الأحراش الشيخ، فقالت الآلهة: "تمتع فالغابات لك، وكن فرساً سعيداً، طارد الحوريات وانفخ في نايك"، وعاش الساتوري سعيداً.

في يوم من الأيام بينما كان أب الآلهة "أبولو"[40] يعزف بقيثارته، خرج الساتوري خارج حدود مملكته، واندفع صاعداً إلى الجبل المقدس وفاجأ الإله في عزفه، فقرر الإله عقابه بأن يحوله أطرشاً لا يسمع، أصم كصخرة، وما كان له أن يسمع ما يحدث في الغابة رغم العصافير التي كانت تسكب الألحان الغارقة في

---

[39]– الكلمة بالأسبانية تعني في الميثولوجيا الإغريقية كائنا له جذع رجل ورأس بقرنين وأقدام ماعز، له القدرة على مغازلة النساء وممارسة الجنس معهن، وله قدرة على إشباعهن جنسيا، وكان هذا الكائن يعيش ويمارس أفعله تلك بالغابة.

[40]– أبولو: اله الجمال والنور والفنون في الميثيولوجيا اليونانية القديمة، يقال أن كان يقود عربة تجرها أربعة جياد

جداولها، فالساتوري لم يكن يسمع شيئا، وغنت الإلهة "فيولميلا"[41] على رأسه المحاطة بالعصافير كالتاج أغنيات كانت تُوقف الأنهار عن جريانها، وتُخجل الزهور الشاحبة على أغصانها، وكان هو لا يحرك ساكناً، أو يطلق قهقهاته الوحشية، أو ينطلق مندفعاً بشهوانية كلما لمح خلفية بيضاء أو استدارة تنعكس عليها أشعة الشمس الشقراء. وكانت الحيوانات جميعاً تحيط به كسيد يجب أن يُطاع.

وحتى تسليه، كانت كاهنات الإله "باخوس"[42] ترقصن من حوله في حالة هذيانه المحمومة، وتتبعن النغمة، وبالقرب منه، الآلهة الصغيرة والمراهقة تغازله بابتساماتها، ورغم إنه لم يكن يسمع أي صوت إلا إنه كان يستمتع بطرق أخرى، وهكذا أمضى هذا الملك الملتحي حياته بساقيه الماعزيتين.
لقد كان كائناً غريباً.

كان له مستشارين: قبرة وحمار، فقدت القبرة احترامها

---

[41]- أميرة شهيرة ابنة "باندیون" ملك أثينا، وشقيقة "بروكني" زوجة تريو"، بطل تراثيا، اغتصبها زوج شقيقتها وحتى لا تشي به قطع لسانها، فقامت بتوشية حكايتها على سجادة وأرسلتها هدية إلى شقيقتها، التي انتقمت من زوجها بقتل ابنها "ايتيس" وقدمته طعاما لزوجها، وعندما علم بما حدث قام بتتبع الشقيقتين للانتقام منهما، لكن الآلهة تدخلت وحولت "بروكني" إلى قبرة، فيما شكلت "فيولميلا" إلى عصفور مغني

[42]- اله الخمر عند الإغريق

بفقدان الوحش سمعه، قبل ذلك، نعم كان كلما تعب من إشباع رغباته الغريبة كان يعزف على قيثارته ألحاناً رقيقة، فكانت تتبعه القبرة.

بعد ذلك، في غابته الكبيرة، حيث لم يكن يسمع ولا أي صوت رعدي اولمبي، فإن الحيوان الصبور بأذنيه الطويلتين كان أداته للسباق، فيما كانت القبرة تنطلق من بين يديه طرباً باتجاه السماء.

كانت الغابة ضخمة، تحّوم القبرة على قمتها، ويرعى الحمار في أعشابها، تتلقى القبرة تحية أشعة الفجر الأولى، وتشرب الندى من البراعم، توقظ شجرة البلوط بأن تقول لها: "أيتها البلوطة العجوز، استيقظي"، تتلذذ بقبلة الشمس، كانت أشعة الصباح تعشقها، والأزرق العمق، الذي كان كبيراً، يعرف إنها صغيرة جداً، وأنها توجد تحت رحمة اتساعه، والحمار (رغم أنه لم يكن قد تحاور وقتها مع "كانت"[43]) إلا إنه كان خبيراً في الفلسفة، كما يقول العامة، وكان الساتوري يراه يتخذ وضعاً متعجرفاً، يحرك أذنيه بهالة المهابة، وإنه كان عالماً بذلك المفكر، ولم يكن الحمار وقتها يتمتع بالشهرة التي نعرفها عنه الآن، وتحريك فكيه لم يكن

---

[43]- ايمانويل كانت (1724- 1804) فيلسوف ومؤرخ هولندي له العديد من المؤلفات الفلسفية من أهمها "نقد الأيمان النقي"

متخيلاً أنه سيكتب يوماً ما في كتاب مديح "دانييل هاينسيوس"[44] باللاتينية، و"باسيرات"[45] و"بوفون"[46] و"هوجو"[47] بالفرنسية، وعند "بوسادا"[48] و"فالديراما"[49] بالأسبانية.

وهو، الصبور، تلدغه الذبابات، التي يهشها بذيله، ويضرب بحافره من وقت لآخر، ويطلق تحت قبة الغابة نهيقه الشاذ، وكان يلقى التشجيع هناك، وعندما ينام قيلولته على الأرض السوداء والرقيقة، تمنحه الحشائش والزهور رائحتها. وتميل الأشجار العالية بأفرعها لتمنحه الظل.

في تلك الأيام، كان "اورفيو"[50] الشاعر، منزعجا من بؤس البشر، فكر في الهرب إلى الغابة، حيث يمكن أن تفهمه جذوع الأشجار والصخور وتستمع إليه بإعجاب، وحيث يمكنه أن يطبق تناغمه ووهج حبه ويمنح صوت آلته الموسيقية الحياة.

---

[44]- دانييل هانيسيوس (1580 – 1655) مؤرخ هولندي كتب العديد من الأعمال المهمة عن الفلسفة اليونانية القديمة من أهمها "السياسة" و"أفلاطون"، و"سينيكا"

[45]- باسيرات: (1534 – 1602) خطيب مفوه، وشاعر فرنسي كتب بالفرنسية واللاتينية

[46]- هو جورج لويس ليكليرك (1707 –1788) كونت دي بوفون، كاتب وعالم طبيعيات فرنسي، كتب "تاريخ الطبيعة" في أربعين مجلدا

[47]- الكاتب الرفنسي فيكتور هوجو

[48]- خوسي جوادالوبي بوسادا (1852– 1912) فنان مكسيكي

[49]- ادولفو بالديراراما (1834– 1902) كاتب وطبيب تشيلي من مؤلفاته "الشعر التشيلي" وكان صديقا لروبين داريو

[50]- شخصية من الميثيولوجيا الإغريقية: شاعر ومغن شهير

عندما كان يعزف "اورفيو" قيثارته كانت تنتشر الابتسامة على الوجه الابولي، وكان "ديمتر"[51] يشعر باللذة، وتطلق النخيل لقاحاتها، وتبزغ البذور، وتحرك الأسود أعرافها، وفي مرة طارت قرنفلة عن فرعها وبدت كفراشة حمراء، وهبطت نجمة معجبة وتحولت إلى زهرة زنبق.

وأي غابة أفضل من غابة الساتوري، والذي سوف يعثر عليه فيها، ويمكن أن يعيش فيها كشبه إله، غابة كلها سعادة ورقص، وجمال، وشهوانية، حيث الحوريات وكاهنات المعابد في متناول اليد، وعذراوات دائماً، حيث توجد الأعناب والزهور وصليل الجلاجل، وحيث يرقص الملك ذو الأقدام الماعزية أمام معاونيه، سكيراً ومُصدراً أصواتاً مثل "سيلينو"[52]؟
ذهب بتاجه المصنوع من الغار، وقيثارته، وجبهته كشاعر معتد بنفسه، ومشعاً بهالة من الفن.

وصل إلى حيث يوجد الساتوري ذي الشعر الكثيف، وحتى يطلب منه استضافته غنى. غنى أشعار "جوبي"[53] و"كيوبيد"[54] و"افروديت"[55]، وغنى عن كاهنات المعابد الجميلات، وغنى كأس

51- إلهة الزراعة
52- ساتوري عجوز قام بتربية "باكو" اله الخمر عند الرومان
53- احد الأسماء المتعددة للإله الروماني "جوبتر" وأيضا يسمى "زيوس" عند الإغريق.
54- إله الحب عند الإغريق.
55- إلهة الحب والجمال عند الإغريق.

"ديونيس"[56]، والسهم الذي يجرح الهواء الطليق، و"بان"[57] إمبراطور الجبال، ومالك الغابات، والإله-الوحش الذي كان يعرف أيضا كيف يغني، غنى عما يخبئه الهواء، والأرض، الأم الكبرى، وهكذا أوضح نغمة الهارب[58]، وهَمْس الأعشاب، والضجيج المكتوم للقوقعة، والنغمة الموسيقية التي تنبع من القطرات. غنى الأشعار، التي تهبط من السماء وتسعد الآلهة، والتي ترافق حركة الفك. غنى نهود الجليد الدافئ وكؤوس الذهب المزينة، وحوصلة الطائر ومجد الشمس.

ومنذ بداية وصلة الغناء كان الضوء يلمع بسطوع أكثر قوة، وتململت الجذوع الضخمة، وتطايرت بتلات بعض الورود، وتمايلت الزنابق كما لو كانت قد أصيبت بإغماءة حلوة، لأن "اورفيو" كان يجعل الأسود تموء، ويُبكي الحصى بإيقاعات موسيقى قيثارته، وكاهنات المعابد الأكثر غضباً صمتن، وكن يسمعنه كما لو كان حلماً، وجنية ماء عذراء، لم تتمكن من تخويفها ولا نظرة واحدة من الساتوري، اقتربت من المغني بحياء وقالت له: "أنا أحبك"، كان "فيلوميلا" قد طار ليحط على زنبقة

---

[56]- إله الخمر عند الإغريق، وملهم السكر والجنون

[57]- شبيه إله عند الإغريق وحارس الرعاة، وأيضا إله الخصوبة والجنس، وتقول الأساطير أنه كان يدخل الغابة ويطارد الحريات ليمارس معهن الجنس، وأثناء جولاته كان يحمل نايا يعزف عليه لسحر الحوريات.

[58]- الهارب: آلة وترية تشبه قوسا كبيرا تمتد الأوتار من قاعدته إلى أعلاه، وهي آلة ذات جذور فرعونية، وتوجد كثيرا مرسومة على جدران المعابد

كحمامة مهجورة، لم يكن هناك من صدى سوى صوت "اورفيو"، وأحست الطبيعة بالغناء، و"فينوس"، التي كانت تمر بالقرب من المكان، سألت من بعيد عن هذا الصوت الإلهي: "هل جاء إلى هنا "ابولو"؟

وفي كل هذا التناغم الكبير، الوحيد الذي لم يكن يسمع أي شيء هو الساتوري الأطرش.

وعندما انتهى الشاعر سأله:

-هل أعجبك غنائي؟ لو كان الأمر كذلك فإنني سأبقى معك في هذه الغابة.

وجه الساتوري نظرة إلى مستشاريه، وكان عليهما حل ما لم يتمكن من فهمه هو. كانت نظرته تطلب رأياً.

قالت القبرة محاولة النطق بأعلى ما تملك من صوت:

-سيدي، ابق على من غنى لنا بهذه الطريقة، إن قيثارته جميلة وقوية، قدمت لك المجد والضوء الغريب الذي شوهد اليوم في الغابة، لقد منحك تناغمه، سيدي، أنا خبيرة بمثل هذه الأشياء، عندما يأتي الفجر عارياً ويصحو العالم، أنا استرجع زمن السماوات العميق والفضاءات الواسعة، أنا أقول لك إن "اورفيو" غنى بشكل جيد، وإنه ربيب الآلهة، وموسيقاه أسكرت الغابة كلها، والنسور اقتربت وسكنت على رؤوسنا، وقدمت الحشائش المزهرة أسرارها بهدوء، وترك النحل خليته وجاء ليستمع. وبالنسبة لي، آوه، يا سيدي!، لو إنني كنت مكانك لأعطيته هدايا من ممتلكاتي،

هناك قوتان على الأرض: الواقعية والمثالية، ما يمكن أن يفعله هرقل بفكيه، يفعله اورفيو باستلهامه. الإله الساكن يمكنه أن يبعد "آتوس"[59] من مكانه بضربة واحدة من قبضته، ويمكن لاورفيو أن يهدئ من غضبه بصوته المنتصر، وتسيطر "نيميا"[60] على أسدها، و"اريمانتو"[61] على خنزيره، أما البشر، بعضهم ولد ليصنع المعادن، وآخرون ليحصدوا من الأرض الخصبة سنابلها المليئة بالحبوب، وآخرون ليحاربوا القتلة الأكثر دموية، وآخرون ليحلموا ويمجدوا ويغنوا، لو إنني كنت ساقيك وأقدم لك الخمر، فإن فمك سيتلذذ، لو قدمت لك الغناء ستتلذذ روحك.

بينما كانت القبرة تغني، كان اورفيو يرافقها بقيثارته، فكان يخرج منها صوت غنائي ممتد يغطي الغابة الخضراء الساطعة، بدأ الساتوري الأطرش يفقد صبره، تُرى من يكون هذا الزائر؟ تُرى لماذا توقف الرقص المجنون أمامه؟ وترى ماذا يقول مستشاره عن هذا؟

آه، لقد غنت القبرة، لكن الوحش لم يكن يسمع! وأخيراً، توجه ببصره نحو الحمار.

---

[59]- طبقا للأساطير الإغريقية، عبارة عن عملاق ضخم قام خلال معركة بين العمالقة والآلهة بإلقاء صخرة على إله البحار والمحيطات فنشأت عن سقوطه الجزيرة التي تعرف باسمه الآن.

[60]- مدينة إغريقية قديمة معروفة بقصة "أسد نيميا" الذي صارعه "هرقل" وقتله.

[61]- اسم جبل باليونان، معروف بأنه المكان الذي عاش فيه الوحش "جباليا" الذي صارعه "هرقل" وقتله.

كان يريد معرفة رأيه؟ حسنُ إذن، في مواجهة الغابة الضاجة والمضيئة تحت الأزرق المقدس، حرك الحمار رأسه من ناحيـــة إلى أخرى، بعناد، وصمت، كالعالم عندما يتأمل.

حينئذ، بحافره المقدس، حفر الساتوري الأرض، وكشر جبينه بعدم الرضاء، ودون أن ينتبه إلى أي شيء، صرخ، مشيراً إلـــى اورفيو أن يخرج من الغابة.

-لا...!

وصل الصدى إلى جبل الأولمب القريب، وتعداه إلى أبعد من ذلك، حيث كانت تلهو الآلهة، وانطلقت قهقهات متواصلة.

خرج اورفيو حزيناً من غابة الساتوري الأطرش، مستعداً لشنق نفسه على أول شجرة غار تقف في طريقه.

لكنه لم يشنق نفسه، بل تزوج من ايوريديس.

حمامات بيضاء وأوزات سمراء

كانت ابنة عمي "اينيس" شقراء كألمانية، نشأنا معاً، عشنا منذ صغرنا، في بيت الجدة الطيبة جداً التي كانت تحبنا كثيراً وتجعلنا ننظر إلى بعضنا كأخوين، كانت تراقبنا بحرص، كانت ترانا سعيدين، كانت العجوز الرائعة، بملابسها ذات الزهور الكبيرة، وشعرها الأجعد والملتف، كما لو كانت ماركيزة بوتشر[62].

كانت "اينيس" أكبر مني قليلاً، ومع ذلك، تعلمتُ أنا القراءة قبلها، وكنتُ أفهم- أتذكر ذلك جيداً- ما كانت تلقيه هي حفظاً، بشكل ميكانيكي، من القصائد الرعوية[63]، كانت تغنيها وهي ترقص أمام تمثال المسيح الطفل، وتمثال مريم العذراء الجميلة والقديس سان خوسيه، وسط إعجاب البسطاء من الحاضرين من أفراد العائلة الكبار، الذين يضحكون ضحكات حلوة، ويثنون على مواهب الممثلة الصغيرة.

كبرت "اينيس"، وأنا أيضاً، لكني لم أكبر مثلها تماماً، كان

---

[62]- فرانسواز بوتشر (1703-1770) رسام فرنسي من القرن السابع عشر، ينتمي إلى فن الروكوكو، أبدع العديد من الأعمال ذات الطابع الميثيولوجي.

[63]- قصائد رعوية، نشأت في بروفنسا، وتكون عادة بطلتها أو الشخصية الرئيسية فيها راعية.

يجب أن أذهب إلى مدرسة، داخلية مرعبة وبائسة، ويجب أن أبذل فيها جهداً للدراسة والحصول على البكالوريا، وأن آكل أطباقاً تقليدية مخصصة للتلاميذ، وأن أنقطع عن رؤية الدنيا، عالمي كمراهق، وعن بيتي، وجدتي، وابنة عمي، وقطي- قط روماني رائع يتمسح بأقدامي في حنية- ويملأ ملابسي بالشعر الأبيض.

سافرت!

وهناك في المدرسة استيقظت مراهقتي بالكامل، واتخذ صوتي رنة أجشة، ووصلتُ إلى تلك الفترة السيئة في التحول من الطفولة إلى المراهقة، وحينها، مررت بمرحلة خاصة، بدلاً من اهتمامي بأستاذ الرياضيات، الذي لم يتمكن أبداً من أن يجعلني أفهم نظرية نيوتن، كنت أفكر في "اينيس" ابنة عمي، وإن كان بشكل مشوش وغريب.

بعدها مررتُ بعلاقات أكثر عمقاً، وتعرفتُ على الكثير من الأشياء، ومن بينها، أن القبلات لها طعم لذيذ.

بعد فترة.

قرأتُ "بابلو وفرجينيا"[64]، وعندما حلت نهاية السنة الدراسية وخرجتُ في إجازة، أسرعتُ في طريق عودتي إلى البيت، إنها الحرية!

---

[64]- بابلو وفرجينيا، عنوان رواية شهيرة للكاتب الفرنسي "جاك هنبر بيرنادين دي سان بيير" (1737- 1814) تدور حول موضوع رئيسي متعلق بقصص حب المراهقة

لكن يا إلهي، فإن ابنة عمي تحولت في وقت قصير إلى امرأة متكاملة، ووجدتُ نفسي أشعر أمامها بالخجل، وأحاول أن أكون جاداً، وعندما كنت أوجه إليها الحديث، كانت تبتسم لي ببساطة.

لقد كانت "اينيس" قد بلغت الخامسة عشرة والنصف من عمرها، وشعرها ذهبي لامع كالشمس، إنه كنزها الرائع، كانت بيضاء مع ميل إلى الحمرة، لقد كان وجهها خلقاً رائعاً، لو أنك نظرت إليه من المواجهة، وأحيانا بتأملها من الناحية الجانبية. كنت أفكر في صورة ميدالية صقلية رائعة، تحمل وجه أميرة. ملابسها، كانت قد بدأت تقصر، ونهداها، نافران وإسفنجيان، لقد كانا حلماً خبيئاً ومتسامياً، والصوت صافٍ ورنان، والعينان الزرقاوان صافيتان، والفم مليء برحيق الحياة وله لون وردي، تتمتع بصحة وعذرية الربيع.

استقبلتني الجدة بأحضان مفتوحة، ورفضت "اينيس" أن تعانقني، مدت لي يدها، بعدها لم أجرؤ على دعوتها للعب كالسابق، كنت أشعر أمامها بالخجل، وماذا! ربما كانت هي أيضاً تشعر بما كنت أشعر به أنا!

كانت "اينيس" تذهب إلى القداس مع الجدة، مبكراً جداً.

غرفة نومي ملاصقة لغرفة نومهما، عندما كانت تدق الأجراس دقاتها الصباحية، أكون أنا مستيقظاً.

كنتُ أسمع، بأذن منتبهة، حفيف الملابس. ومن خلال الباب الموارب كنت أراهما تخرجان، كن تتحدثان بأصوات عالية، كانت تمر بالقرب مني روائح حلوى الجدة الصباحية وملابس "اينيس"، كانت مثيرة وملتصقة على جسدها، لقد كانت كاشفة بالنسبة لي دائماً.

أوه، كيوبيد!

-"اينيس"...

-...؟

وكنا وحدنا، تحت ضوء قمر أرجنتيني، حلو، قمر جميل من تلك الأقمار القادمة من بلاد نيكاراجوا.

قلت لها كل ما أشعر به، ضارعاً ومتلجلجاً، أقذف الكلمات، السريعة، الانفعالية والمصطنعة والمرتعشة، نعم! لقد قلت لها كل شيء، الأحاسيس الغامضة والغريبة التي كنتُ أشعرُ بها عندما أكون بالقرب منها، إنه الحب، والشوق، وقلق الرغبة والسهر الحزين، أفكاري عنها منذ كنتُ أتأملها وأنا في المدرسة، كنتُ أكررُ الكلمة الكبرى كصلوات مقدسة: الحب. أوه، ربما كانت تستقبل تضرعي أمامها بتلذذ، قلت لها سنكبر أكثر، ونصبح زوجاً وزوجة...

انتظرتُ.

كان الوضوح السماوي يلفنا، ويحمل المناخ إلينا روائح خفيفة، كنتُ أتخيل أنها مناسبة للحب الحارق، الشعر المعظم والعينان الفردوسيتان، والشفاه مشتعلة ومنفتحة!

فجأة وبإيماءة:

-أنظر إنه البله!

وجرت كقطة سعيدة إلى حيث كانت الجدة الطيبة، التي كانت تصلي في صمت بمسبحتها.

-إيه، أيتها الجدة، لقد قال لي...

لقد كانتا تعرفان أنه يجب أن "أقول"...

بضحكاتها قطعت صلوات العجوز، التي توقفت مفكرة وهي تلامس حبات مسبحتها، وأنا كنتُ أرى كل شيء يجري أمامي، من بعيد، وأبكي، نعم، كنت أبكي بدموع مريرة، لقد كانت أول دموع خداع لي كرجل.

كانت التغيرات الفسيولوجية التي كانت تحدث داخلي، وتطلعات روحي، تحركني بعمق، يا إلهي!، إنني حالم، أنا شاعر صغير كما كنتُ أعتقد، ما أن بدأت الغوص حتى شعرت بالامتلاء، الأحلام في الرأس، والأشعار على الشفاه، وروحي وجسدي كراشد كانت عطشى للحب. متى تحل اللحظة السامية التي تضئ فيها أعماقي نظرة سماوية؟ ومتى تحل تلك اللحظة التي يجترح فيها خمار اللغز؟

في يوم من الأيام، تحت الشمس الوضاءة، كانت "اينيس" في الحديقة تروي القمح، الذي ينمو بين الأعراش والزهور، والتي كانت صديقاتها تسميها: حمامات الصباح، كانت ترتدي فستاناً رمادياً مائلاً إلى الزرقة- حلمت دائماً إنني كنت أراها بهذا الفستان نفسه- له أكمام واسعة، تبين منابت أذرعها الرخامية، كان شعرها ملتفاً ومبللاً، ويظهر عنقها الأبيض الوردي الذي بدا لي كضوء أجعد، كانت الطيور تحّوم من حولها، وتترك أثار أقدامها على الأرض المتعرجة.

كان المناخ حاراً، كنت أنا مختبئاً خلف تعريشة الياسمين، آكلها بعيني، وأخيراً اقتربتْ من مخبئي، ابنة العم الرقيقة! كنت مرتجفاً ومحمراً من الخجل، وتشع من عيني شعلة حية وغريبة وحساسة، وانطلقت هي تضحك بعنف، مرعب، وحسن، أوه، لم يكن ذلك ممكناً! ارتميتُ أمامها بسرعة! حازماً، مؤكداً إنه كان أمر جيد!، عندها تراجعت هي خطوة إلى الخلف مرتعبة.

-أحبك!

حينها عادت إلى الضحك من جديد، طارت حمامة على أحد ذراعيها، داعبتها هي بمنحها بعض حبوب القمح من خلال لآلئ فمها الطيب والشهواني، اقتربتُ أكثر، تلاصق وجهي بوجهها. والطيور البريئة تحيط بنا... كانت تغمم عقلي سحابة خفية

ورائحة أنثوية قوية، كنتُ أرى في "اينيس" حمامة جميلة وبشرية، بيضاء ومتسامية، و يملؤها الزمن بالنار، والاحتراق، لقد كانت كنزاً من السحر، لم أقل شيئاً! أمسكتُ برأسها وقبلتها في وجنتها، قبلة سريعة، حارقة بعاطفة مشبوبة، هي، انطلقت هاربة، ارتعبت الحمامات وانطلقت طائرة، محدثة ضجيجاً خاوياً بأجنحتها على الحشائش المرتعشة، وبقيت أنا ساكناً.

بعدها بقليل انتقلت إلى مدينة أخرى، ولم تكن الحمامة البيضاء والشقراء قد بينت أمام عيني الجنة الغريبة التي حلمتُ بها.

لقد كانت ملهمة حارقة ومقدسة لروحي، لقد كان اليوم يقترب، إنها "إلينا"، خفيفة الظل، المرحة، لقد كانت هي حبي الجديد، مباركة تلك الشفاه التي همست للمرة الأولى بالقرب مني بالكلمات التي يعجز عنها الوصف.

لقد كانت هي، في مدينة تقع على شاطئ بحيرة من بلادي، بحيرة جميلة، مليئة بالجُزر المزهرة والطيور الملونة.

نحن الاثنين معاً، ممسكان بأيدينا، جالسان على الرصيف القديم، والذي تجري من تحته مياه عكرة متغمة بالموسيقى، كان هناك غروب رهيف، من ذلك الذي يطبع قصص الحب الاستوائية. وفي السماء كان المسطح الساكن يمتد ويخفت إلى أن

تتغير درجاته اللونية إلى البنفسج القاتم. من ناحية الشرق، ويزداد ليصبح ذهباً ورردياً في الأفق البعيد، حيث تهتز لتتحرف نحو الأحمر النابع من انهيار آخر أشعة الشمس، وكانت هي مندفعة بالرغبة، تنظر إليّ وعيوننا تقول أشياء حارقة وغريبة، وفي أعماق روحينا تغني بلحن مسكر قيثارات إلهية خفية.

أنا، تائهاً كنت أرى المرأة الرقيقة والحارقة، بشعرها الكستنائي الذي أداعبه بيدي، ووجهاً بلون القرفة والورد، وعنقها الكليوباتري[65]، وجسدها الفارع العذري، وكنت أسمع صوتها تقول لي كلمات رقيقة، برنة خفيضة، كما لو كانت موجهة لي فقط، ربما كانت تخاف أن يحملها الريح، تركز عينيها فيّ، فتغمرني سعادة عينيها، عينان خضراوان، عينان قد يعشقهما الشعراء دائماً، بعدها تهرب عينانا إلى البحيرة، التي لا تزال مليئة بالوضوح الخفي. بالقرب من الشاطئ توقفت مجموعة من البلشونات. بلشونات بيضاء، وبلشونات سمراء، من تلك التي عندما تزداد حرارة النهار تأتي لتهش التماسيح، وبمناقيرها العريضة تشرب الماء من على الصخور السوداء، يا لها من بلشونات جميلة! بعضها يخفي أعناقه الطويلة تحت الجناح فتبدو كبقع ضخمة من الزهور الحية الوردية، تبقى ساكنة وصبورة.

---

[65]- نسبة إلى كليوباترا

أحياناً تقف إحداها على ساق واحدة، أو تقوم مجموعة منها بحركة طيران دائرية، وتشكل في عمق الشاطئ الأخضر، أو في السماء، رسوماً غريبة، كما لو كانت مظلات صينية.

تخيلت نفسي إلى جوار محبوبتي، من ذلك البلد المرتفع توحي إلي تلك البلشونات بالكثير من القصائد المجهولة والحالمة، فالبلشونات البيض أرى أنهن أكثر نقاء وشهوانية، وبنقاء ريشها وشهوانيتها التي تشبه الإوزات، بأظافرها وأعناقها الملكية، تشبهن السيدات الإنجليزيات اللاتي بشعورهن المجعدة يشاهدن في المقاطع التي كان يلقيها شكسبير في قصر لندن الملكي. أجنحتها الرقيقة الصافية، تدفع إلى التفكير في أحلام الزواج المحبطة، فكلها- حسن، حسب تعبير شاعر- كضربات أزميل نحات.
آه، لكن الأخريات لديهن شيء أكثر جاذبية بالنسبة لي، فإنني أرى "إلينا" مثل الأخريات، ببشرتها القرفية الوردية، شهمة وأنيقة.

تختفي الآن الشمس وتسحب من خلفها كل الألوان الوردية التي تشبه عباءة ملك شرقي، كنتُ قد وصفتُ الحبيبة برقة وجميل القسم، وبكلمات دافئة، وظللنا معاً في ثنائي عاطفي عميق. لقد وصلنا إلى هناك عاشقين حالمين، وكرّس كل منا الآخر.

فجأة وكما لو كانت تدفعنا قوة سرية، في لحظة غامضة، التقت شفاهنا، بقبلة بدت بالنسبة لي قدسية ومتسامية: أول قبلة من

فم امرأة. أوه يا سليمان، الشاعر الإنجيلي الملكي! لقد قلتها أنـــت من قبل: "عسل ولبن تحت لسانك"[66].

آه، يا معشوقتي، يا جميلتي، يا محبوبتي البلشونة الســـمراء! أنتِ لك في الذكريات وفي الروح أعلى أشكال التسامي، أنتِ نور خالد.

لأنك أنتِ التي كشفت لي سر الملذات الإلهية في لحظة الحب الأولى التي تفوق الوصف.

---

[66]– مقطع من نشيد الأناشيد

خمار الملكة "ماب"[67]

الملكة "ماب" في عربتها المصنوعة من لؤلؤة واحدة، يجرها أربع فراشات مجنحة ذهبية ذات أجنحة من الأحجار الثمينة، تسير على شعاع الشمس، دخلت من نافذة أعلى بناية كان بها أربعة من الرجال النحلاء، وذوي لحى، وقحين يبكون كما لو كانوا أشقياء.

في ذلك الزمن، كانت الحوريات قد منحت البشر مواهبها، منحت لبعضهم عصياً سحرية تملأ صناديق التجارة الثقيلة بالذهب، ومنحت لآخرين سنابل عجيبة بفرط حبوبها تملأ عنابر كاملة بالثروة، ومنحت لآخرين زجاجاً من خلاله يمكن رؤية الذهب والأحجار الكريمة في باطن الأرض لمن يملكون عضلات قوية مثل جوليات، وقوة عظيمة لطحن الحديد المنصهر، ومن لهم أقدام قوية وسيقان سريعة لركوب الخيل التي تشرب من الريح ولهم ملكة السباق.

كان الرجال الأربعة يشتكون، أحدهم كان حظه امتلاك منجم،

---

[67]- الملكة ماب: شخصية مأخوذة من القصيدة الشعرية الفلسفية للشاعر الرومانتيكي الإنجليزي شيلي (1792- 1822) والمكونة من تسعة أنشيد ونشرت عام 1813

والآخر قزحية، والثالث إيقاعا، والأخير سماء زرقاء.

سمعت الملكة "ماب" كلماتهم، كان الأول يقول:

-حسن! أنا هنا في قمة تعبي في صراعي مع الرخام، لقد نزعت الكتلة ولدي الأزميل. كلكم تملكون الذهب، وتملكون التناغم، وآخرون يملكون الضوء، وأنا أفكر في البيضاء المقدسة "فينوس". تعرض جمالها تحت قبة السماء المضيئة. أنا أريد أن أمنح هذه الكتلة تناغما وجمالاً فنياً، وأن تجري في شرايين التمثال دماء لا لون لها كالآلهة، أنا أملك روح اليونان في عقلي، وأعشق العري الذي تهرب إليه الحوريات وتمد لها الطبيعة أياديها، أوه "فيدياس"[68]، أنت بالنسبة لي القوة والمجد كشبيه إله، في مجال الجمال الخالد، أنت ملك يقود جيشاً من الجَمَال يطرح أمام عينيك جمالاً مشعاً من أشكال الأجساد المصنوعة من الورد والثلج.

أنت تضرب، تجرح وتروض الرخام، ويرن صدى الضربة متناغماً كالشعر، ويدور الأزيزي، عاشق الشمس، التي تخفي خلفها الأعناب العذراء، بالنسبة لرداء كاهنات الابولو الشقراوات والمضيئة، والمنيرفات الحادة والممجدة، أنت ساحر، تحول الصخرة إلى زينة وسن الفيل إلى كأس الوليمة، وعند رؤية مجدك أشعر بشهادة تصاغري، لأن الأزمنة المجيدة مضت، لأني

---

[68]- فيدياس: مثال شهير في العالم الإغريقي القديم (أثينا 490 ق م- 431 ق م) كان من انشط فناني عصره وركز كل جهده ليجعل من معبد الاكروبوليس أهم معلم في أثينا.

أقشعر أمام نظرات اليوم، لأني أتأمل المثـالي العظـيم والقـوى المنهكة، لأنني، كلما حفرت الكتلة، تخور عزيمتي.

ويقول الأخر:

-لو أنني كسرتُ فرشاتي اليوم، ذلك لأني أريد القزح ومزيج الألوان الطبيعية تلك التي تزهر في الحقل، ولو أن لـوحتي لـم يقبلوها في الصالون بعد هذا كله؟ ماذا أفعل؟ لقد مـررت بكـل المذاهب، وكل الاستلهامات الفنية، لقد رسمت جذع "ديانا" ووجه "مادونا"، وطلبت من كل الاتجاهات ألوانهـا، تنوعياتهـا، دوّرتُ النور كما العشيقة، وعانقتها كحبيبة، كنت عاشقاً للعـري، بكـل جمالياته، بكل تنويعات تجسداته، وخبيئاته الخافتة، رسمت علـى لوحاتي هالات القديسين وأجنحة الملائكة، آه، ولكن دائماً يعتريني عدم الرضاء، المستقبل! وأبيع كليوباترا بقرشين حتـى أسـتطيع تناول الطعام.

وأنا، الذي يمكنه بقليل من الصبر أن يرسم اللوحة الكبـرى التي أملكها هنا في داخلي...!

وكان يقول الآخر:

-روحي ضائعة في حلمي الكبير بالسيمفونيات، أخشى كـل الاحباطات، أستمع إلى كل التناغمات، من أول القيثـارة وحتـى اوركسترات "فاجنر"[69] المدهشة. ومثالياتي تسطع بين استلهاماتي

[69]- ريتشارد فاجنر: موسيقي ألماني (1813- 1883) برع في تأليف الأوبرات والدرامات الموسيقية.

الحادة، أنا أملك إلهام الفيلسوف الذي يسمع موسيقى الكواكب. وكل الضجيج يمكنه أن يمسك به، وكل صدى قابل لتركيباته الموسيقية. كل شيء يدخل في خطوط سلمي الموسيقي.

وقال الأخير:

-كلنا نشرب من ماء "جونيه"[70] الصافي، ولكن المثالي يسبح في الأزرق، وحتى تتلذذ الأرواح بضوئها السامي، عليها أن تصعد. أنا أملك شِعْر العسل والشِعْر المصنوع من الذهب، والمصنوع من الحديد المصهور، أنا قارورة العطر السماوي: أمتلك الحب. أنا حمامة ونجمة وعش وزهرة وأنتم تعرفون مستقري. وللطيران البعيد المدى أمتلك الأجنحة الخفيفة التي تقصم العاصفة بضرباتها. وحتى يمكن العثور على سكنات، أبحث عنها في فمين يلتقيان فتنفجر القبلة، وأكتبُ الشِعر المفرد، وحينئذ، عندما ترون روحي، سوف تعرفون ملهمتي، أعشقُ الأساطير، لأن منها تنبع النفخة البطولية التي تهز الرايات التي تتطاير على الرماح وعلى الأعراف التي ترتعش على الخوذات، والأناشيد الغنائية، لأنها تتحدث عن الآلهة وقصص الحب، وأعشق القصائد الرعوية لأنها تفوح برائحة النبيذ والزعتر، وزفرة الثور المقدسة المتوج بالزهور، أنا أكتب شيئاً خالداً، ولكن يحبطني مستقبل من البؤس والجوع.

---

[70]- جونيه: مقاطعة إغريقية قديمة كانت تقع في منطقة الأناضول التي هي حاليا في تركيا

حيئنذ فإن الملكة "ماب"، من أعماق عربتها المصنوعة من لؤلؤة واحدة، أخذت خمارها الأزرق، الذي يكاد لا يدرك باللمس، والمكون من التأوهات، أو من نظرات ملائكة شقراء ومتأملة، لقد كان ذلك الخمار خماراً من الأحلام، من الأحلام الحلوة التي تجعل رؤية الحياة بلون الورد، ولفّت به الرجال الأربعة، والذين توقفوا جميعاً عن الشعور بالحزن لأن الأمل دخل صدورهم، ودخلت الشمس السعيدة إلى عقولهم، وبشيطان الألوهية أمكن نزع إحباطات الفنانين المساكين العميقة.

ومنذ ذلك الوقت، فإنه في أعالي البنايات المرتفعة، حيث يطفو الحلم الأزرق، يجري التفكير في المستقبل القادم مع أشعة الفجر، وتُسمع الضحكات التي تنزع الحزن، ويجري رقص رقصات طليقة حول الأبيض أبولو، ومن مشهد جميل، ومن فيولين قديم، ومن مخطوط قديم.

الملك البرجوازي

صديقي!، السماء كئيبة، والهواء بارد، والنهار حزين، فإليك قصة سعيدة... حتى ينقشع الضباب والأحزان الرمادية، إليك القصة:

كانت هناك مدينة ضخمة ومضيئة، يحكمها ملك قوي، يرتدي ملابس مزركشة وثرية، ويملك جاريات عاريات، بيضاوات وسمراوات، وخيولاً ذات أعراف طويلة، وأسلحة فتاكة، وكلاب صيد سريعة، وخدماً ينفخون في الصفارات البرونزية، يملئون الرياح بصلفهم، هل كان هذا الملك شاعراً؟ لا. يا صديقي: إنه الملك البرجوازي.

لقد كان الملك هاوياً للفنون، وكان يغدق على موسيقييه، وعلى من يكتبون في مدحه الأغاني، وعلى الرسامين والمثالين والصيادلة والحلاقين وأساتذة المبارزة.

عندما كان يذهب إلى الغابة، كان يقف إلى جوار الخنزير البري النازف ويطلب من أساتذة التملق المحيطين به أن يكتبوا أغان في مدحه، وكان الخدم يملئون الكؤوس بنبيذ الذهب المغلي،

وتصفق النساء بحركات إيقاعية ورشيقة. لقد كان هو الملك الشمس، قصوره مليئة بالموسيقيين، والقهقهات وضوضاء الاحتفالات. وعندما يسأم من المدينة، كان يذهب في رحلة صيد إلى الغابة بضجيج الحاشية فتفزع الطيور من أعشاشها ويصل الإزعاج إلى أعماق الكهوف. وتحطم الكلاب ذات الأقدام السريعة الأعشاب في تسابقها، والصيادون المنحنون على أعناق الخيول، يرفرفون بعباءتهم الأرجوانية ووجوههم محمرة وأعرافهم ترفرف في الريح.

كان للملك قصر رائع مليء بالثراء والقطع الفنية العجيبة، محاط بحدائق البنفسج والبحيرات المترامية، عندما كان يذهب إليه تحييه البجعات بأعناقها البيضاء، والخدم المنتشرون. كان ذوقه رفيعاً، يصعد عبر سلم مليء بأعمدة الرخام والزمرد، وعلى جانبيه أسود من الرخام تشبه تلك التي تحيط بعرش الملك سليمان، إنها الرهافة، وإضافة إلى البجع كان يملك حديقة من الطيور، وكعاشق للتناغم وخرير الماء والتي كان إلى جوارها يزيد من انطلاق روحه، فقد كان يقرأ روايات إم. أوهنت، أو كتباً جميلة عن قضايا القواعد اللغوية، أو النقد الجميل، ولكن يجب الاعتراف بأنه كان مدافعاً حقيقياً عن القواعد الأكاديمية في الأدب، وأشكال الجمال الرائع في الفنون، لقد كان يمتلك روحاً متسامية ورقيقة، وحباً لفنون الكتابة.

مصابن! صينيات! إنها للإحساس بالثراء لا أكثر، ويمكنه أن

يجلس في الصالون لمجرد التفاخر على طريقة الجونكورد أو الإحساس بملايين "كريسو"، وتماثيل لحيوانات خرافية من البرونز، بأفواه مفتوحة وذيول معكوفة، تتجمع في مجموعات خيالية ورائعة، وأصماغ تشكل من الأوراق زهرة ضخمة، وحيوانات من عوالم مجهولة، وفراشات بأجنحة غريبة معلقة بالحوائط، وأسماك وديوك ملونة، وأقنعة عليها علامات جهنمية، بعيون تكاد تنطق بالحياة، وأسرجة ركوب من أوراق قديمة جداً، ومقابض لها رؤوس تنين تلتهم زهرة لوتس، وقواقع بيض، وعباءات من الحرير الأصفر، كما لو كانت قد حيكت من خيوط عنكبوت، مرسومة عليها بلشونات حمراء وأكوام من الأرز الأخضر، وأوان من القيشاني، وأواني صينية مرت عليها قرون عديدة، من تلك المرسوم عليها محاربون من التتار تغطيهم الجلود حتى منتصف أجسادهم، ويحملون أقواساً مشدودة وجرابات السهام.

ما عدا ذلك، كان هناك الصالون الإغريقي، المليء بالتماثيل الرخامية: آلهة، وملهمات، وحوريات، وكائنات خرافية. إنه صالون الأزمنة الغابرة، به لوحات لكبار الفنانين: أمثال "واتوو" و"شاردين"، اثنان ثلاثة أربعة، إنها صالونات كثيرة!

وكان يتجول فيها جميعاً بحرص واهتمام، وتعلو وجهه وجاهة ظاهرة، بكرشه السعيد وتاجه على رأسه، كما لو كان ملكاً من ملوك أوراق اللعب.

في يوم من الأيام قدموا له نوعاً غريباً من الرجال، وضعوه أمام عرشه، حيث كان محاطاً بالحاشية، والمتملقين ومعلمي الاتيكيت والرقص.

سأل:

-ما هذا؟

-سيدي، إنه شاعر.

كان لدى الملك بجعات في البحيرة، وطيور كناري وزرازير في أقفاص الحديقة، وشاعر كان أمر جديدا وغريبا.

-دعوه هنا.

قال الشاعر:

-سيدي، أنا لم آكل.

قال الملك:

-تحدث وسوف تأكل.

وبدأ الشاعر يتكلم:

-سيدي، لي زمن وأنا أغني الفعل المستقبلي، فردتُ جناحي على العاصفة، لقد ولدتُ في لحظة طلوع الفجر، وأبحثُ عن تلك النوعية التي يجب انتظارها، باللحن في الفم والقيثارة في اليد، انتظاراً لشروق الشمس، لقد غادرت استلهام المدينة الرديئة،

غادرت الغرفة المعبقة بالعطر، والملهمة القادرة على ملء الروح بصغائر الأمور، وتغطية الوجه بذرات دقيق الأرز. لقد قطعت أوتار آلة الهارب الضعيفة الأداء، وضربتُ كؤوس الزجاج البوهيمي والدوارق التي كان الخمر يترقرق فيها، ذلك الذي يُسكر دون أن يمنح القوة، لقد ألقيتُ عني العباءة التي تجعلني هيستيريا، أو أبدو امرأة، وارتديت الشكل الخشن والساطع، إن خرقي من الأرجوان. لقد ذهبت إلى الأحراش حيث اشتد عودي بفضل الحليب المتخثر ورحيق الحياة الجديدة، وعلى شاطئ البحر الجاف، نافراً رأسي تحت عنف القوة والريح العاتية، كملاك متكبر، أو كما شبه إله من آلهة الاولمب، لقد تدربتُ على العَروض وقررت الإعراض عن كتابة قصائد الغزل.

لقد داعبتُ الطبيعة السوداء وبحثتُ، تحت تأثير المثالي، عن القصيدة الكائنة في النجم الساكن في أعماق السماء، وتلك التي في اللؤلؤة الكامنة في أعماق المحيط. أردتُ أن أكون شديداً! لأن زمن الثورات الكبرى قادم، كمسيح مشع بالنور، كله هياج وقوة، ومن الضروري استقبال روحه بقصيدة تكون قوساً منتصراً، مكونة من مقاطع من فولاذ، ومقاطع من ذهب، ومقاطع من حب. سيدي، إن الفن ليس في الانحناءات الرخامية الباردة، ولا في اللوحات الناعمة، ولا حتى في رسوم الرائع "أونت". سيدي، إن الفن لا يرتدي السراويل، ولا يتحدث اللغة البرجوازية، ولا يضع

النبرات على كل حروف الياء، إن الفن جليل، يرتدي عباءات من ذهب، أو من لهب، أو يسير عاريا، أو يصنع الصلصال بالحمى، ويلّون بالنور، إنه ثري ويضرب بأجنحته كالنسور، أو يزأر كالأسود. سيدي، ما بين أبولو والأوزة، أنتم تفضلون أبولو، حتى لو كان الأول من طين محروق والآخر من العاج.
أوه، أيها الشعر!

والآن! فإن الإيقاعات تفقد براءتها، ويتغنى الشعر بمحاسن النساء، ويجري صنع مشروبات شاعرية، وأيضاً، يا سيدي، فإن ماسح الأحذية أصبح يكتب نقداً عن إيقاعات أشعاري، والسيد أستاذ الصيدلة يصحح قصائدي بوضع النقاط والفواصل. سيدي، وجلالتكم توافقون على كل هذا... إنها المثالية، إنها المثالية!
قاطعه الملك:

-ها لقد سمعتم. ما الذي يمكن فعله؟

قال فيلسوف متملق:

-لو سمحتم لي سيدي، يمكنه أن يكسب عيشه بتشغيل صندوق موسيقى، يمكننا أن نضعه في الحديقة، بالقرب من البجع، يعزف كلما تنزهتم بالقرب منه.

قال الملك متوجهاً إلى الشاعر:

-نعم، عليك أن تدير عجلة الصندوق، وأن تغلق فمك، عليك

أن تدير صندوقاً موسيقياً يعزف مقطوعات من الفالس، والمربعات، وأصوات السباق، إن لم تكن تفضل الموت جوعاً، كل مقطوعة موسيقية مقابل قطعة من الخبز، لا أريد رطانة ولا مثاليات. اذهب.

ومنذ ذلك اليوم أمكن مشاهدة الشاعر الجائع على حافة بحيرة البجع يدير عجلة صندوق الموسيقى: تريرررين... تريريرررين... وكله إحساس بالخجل من أشعة الشمس العظيمة، وكان يتنزه الملك بالقرب من المكان، تريرررين... تريريرررين... كان لا بد من ملء البطن الفارغة وإيقاف ألم الجوع؟ تريرررين. فيما تسخر منه الطيور التي تطير حرة في الفضاء، تشرب الندى من على أوراق زهرة الليلك اليانعة، وطنين النحل الذي كان يوخزه في وجهه ويملأ عينيه بالدموع... دموع مريرة تجري على وجنتيه لتسقط على الأرض السوداء!

وحل الشتاء، وشعر المسكين بالبرد في جسده وفي روحه، وكان عقله كما لو كان خاضعاً لصعقة كهربائية، وكأن الأناشيد الكبرى قد ذهبت مع النسيان، وتحول شاعر الجبال المتوجة بالنسور إلى كائن مسكين يدير عجلة صندوق الموسيقى: تريرررين!

وعندما تساقط الجليد نسيه الملك وحاشيته، وتدثرت الطيور، فيما بقي هو تحت رحمة الهواء الجليدي الذي يعض عظامه ويسوط وجهه.

وفي إحدى الليالي التي كان يُسقط فيها المطر الأبيض ندفه الزجاجية، كان في القصر احتفال، وكانت أضواء العناكب تضحك سعيدة على أعمدة الرخام، وعلى الذهب وعلى أغطية الخزف الصيني القديم، وكانوا يصفقون حتى الجنون تحية لخطاب الأستاذ المتملق، المُنَمق طبقاً للأوزان الموسيقية والعَروض الشعري الإغريقي القديم، وبينما كانت الشمبانيا تفور في الكؤوس الزجاجية بزبدها المضيء الساطع، إنها ليلة شتائية، ليلة احتفالية! كان الشاعر التعس مغطى بالجليد، بالقرب من البحيرة يحاول تدفئة جسده المرتعش بإدارة عجلة صندوق الموسيقى تحت البياض القوي والجليدي، في ليلة معتمة، فيما يجري صدى موسيقى السباق بين الأشجار الخالية من الأوراق، إلى أن سكن جسده برعشة الموت، وهو يفكر أن الشمس ستشرق في اليوم القادم، ويعود مع مولدها الزمن المثالي...، زمن لا يلبس فيه الفن سراويلاً بل يتدثر بعباءات من نار أو من ذهب... إلى أن عثر الملك وحاشيته في اليوم التالي على الشاعر المسكين، كما لو كان قبرة قتلها الجليد، وعلى شفتيه ابتسامة مريرة، ولا تزال يده ممسكة بعجلة صندوق الموسيقى.

أوه! يا صديقي! إن السماء معتمة، والهواء بارد، والنهار حزين. ويتصادم الضباب بالألوان الرمادية بجنون...
لكن، كم تبعث الدفء في الروح جملة تُقال، ومصافحة باليد تأتي في وقتها المناسب، إلى اللقاء.

الفهرس

تقديم	5
أولا: المختارات الشعرية	15
1-بركان "موموتومبو"	17
2-كاوبوليكان	23
3-أنا ذلك الذي...	25
4-إلى "فوكاس" الفلاح	34
5-والت ويتمان	36
6-فينوس	38
7-الملوك المجوس الثلاثة	40
8-ليليٌ	42
9-تناسخ	44
10-النشيد الشارد	46
11-رأس الراوي الشرقي	49
12-إلى روزفلت	58
13-إلى فرانثيسكا	62
14-توتيكوتزيمي	65

15-المحتوم 79
16-في الكواكب 80
17-ابتهالات سيدنا "دون كيخوته" 82
18-فيرلين 87
19-النبع 91
20-أبراج الله: الشعراء. 93
21-هناك في البعيد 95
22- دوافع الذئب 97
ثانيا: الأعمال النثرية 107
1--الحورية 109
2-الطائر الأزرق 116
3-الطرد 123
4-الساتوري الأطرش 131
5-حمامات بيضاء وبلشونات سمراء 140
6-خمار الملكة "ماب" 150
7-الملك البرجوازي 155

real y la corona de su cabellera, está la Venus de Milo, no manca, sino con dos brazos, gruesos como los muslos de un querubín de Murillo, y vestida a la última moda de París, con ricas telas de Prá.

Más allá está el oleaje de los que van y vienen: parejas de enamorados, hermanos y hermanas, grupos de caballeritos irreprochables; todo en la confusión de los rostros, de las miradas, de los colorines, de los vestidos, de las capotas: resaltando a veces en el fondo negro y aceitoso de los elegantes dumas, una cara blanca de mujer, un sombrero de paja adornado de colibríes, de cintas o de plumas, y el inflado globo rojo, de goma, que pendiente de un hilo lleva un niño risueño, de medias azules, zapatos charolados y holgado cuello a la marinera.

En el fondo, los palacios elevan al azul la soberbia de sus fachadas, en las que los álamos erguidos rayan columnas hojosas entre el abejeo trémulo y desfalleciente de la tarde fugitiva.

Acuarela

Primavera. Ya las azucenas floridas y llenas de miel han abierto sus cálices pálidos bajo el oro del sol. Ya los gorriones tornasolados, esos amantes acariciadores, adulan a las rosas frescas, esas opulentas y purpuradas emperatrices; ya el jazmín, flor sencilla, tachona los tupidos ramajes, como una blanca estrella sobre un cielo verde. Ya las damas elegantes visten sus trajes claros, dando al olvido las pieles y los abrigos invernales. Y mientras el sol se pone, sonrosando las nieves con una claridad suave, junto a los árboles de la Alameda que lucen sus cumbres resplandecientes en un polvo de luz, su esbeltez solemne y sus hojas nuevas, bulle un enjambre ajeno a ruido de música, de cuchicheos vagos y de palabras fugaces.

He aquí el cuadro. En primer término está la negrura de los coches que expende y quiebra los últimos reflejos solares, los caballos orgullosos con el brillo de sus arneses, y con sus cuellos estirados e inmóviles de brutos heráldicos; los cocheros taciturnos, en su quietud de indiferentes, luciendo sobre las largas libreas los botones metálicos flamantes; y en el fondo de los carruajes, reclinadas como odaliscas, erguidas como reinas, las mujeres rubias de los ojos soñadores, las que tienen cabelleras negras y rostros pálidos, las rosadas adolescentes que ríen con alegría de pájaro primaveral, bellezas lánguidas, hermosuras audaces, castos lirios albos y tentaciones ardientes.

En esa portezuela está un rostro apareciendo de modo que semeja el de un querubín, por aquélla ha salido una mano enguantada que se dijera de niño, y es de morena tal que llama los corazones, más allá se alcanza a ver un pie de Cenicienta con un zapatito oscuro y media lila, y acullá, gentil con sus gestos de diosa, bella con su color de marfil amapolado, su cuello

—¡Psiquia, Psiquia! —rugió el enorme rey de cabeza de león.

¡Psiquia estaba dormida para siempre!

Tomás bautizó a los gigantes vecinos de los tres Reyes Magos, y así ganó muchas almas para el cielo y para la gloria de Nuestro Señor Jesucristo, Salvador del mundo, al cual sean dados gloria, honor e imperio, *per finita saecula saeculorum, amen.*

Aquí concluye la historia de la princesa Psiquia.

alta y solemne—, el secreto cuya posesión será mi única dicha, tan solamente un hombre puede enseñármelo: un hombre de tu país, que en estos momentos pasa a muchas leguas de aquí, camino de Galia, vestido con una áspera túnica, apoyado en un tosco bordón, ceñidos los riñones con una cuerda. ¡Ruégote, oh, enviado del verdadero Dios!, vea yo mi felicidad, sabiendo el misterio que ansío conocer, y así seré la Princesa más feliz de la tierra.

—¡Oh, desdichada! —respondió Tomás ante los oyentes maravillados—. ¿No sabes que tus deseos son contra la voluntad del Padre? ¿No sabes que ningún humano, fuera de ese peregrino que pasa camino de Galia, puede poseer el más tremendo de los secretos, el secreto que ansías conocer? Mas sea en bien de Nuestro Señor, y cúmplase su voluntad.

Y subió Tomás el Santo a la más alta de las torres de la ciudad y clamó por tres veces.

—¡Lázaro! ¡Lázaro! ¡Lázaro!...

V

En que concluye la historia de la prodigiosa princesa Psiquia

Y viose llegar a un hombre, vestido con una áspera túnica, apoyado en un tosco bordón, ceñidos los riñones con una cuerda. A su paso todas las cosas parecía que temblaban misteriosamente. Era pálido.

No se podía contemplar sus ojos sin sufrir un vértigo desconocido.

Mas los ojos de Psiquia, que sonreía se clavaron en ellos, como queriendo penetrar violentamente en alguna oculta y profunda tiniebla. Él se acercó con lentitud a la princesa y le habló dos palabras al oído. Psiquia escuchó y quedó al instante dulcemente dormida:

habían sido guiados por una estrella; y que en esos mismos instantes estaba aún en el país de ellos un enviado de aquel Dios, llamado Tomás, el cual les había infundido una mejor sabiduría de la que antes poseyeran; y les había bautizado en nombre de Nuestro Señor Jesucristo, cuyo poderío e imperio destruían la influencia y poderío de los ídolos y todas las argucias de Satanás, príncipe de los malos espíritus. A lo cual el gigantesco rey mago envió en busca del extranjero Tomás, el cual entró en la ciudad, y en aquel mismo instante cayeron al suelo despedazados los ídolos de las plazas, porque era Tomás el Santo, que tocó las llagas del Cristo resucitado, e iba por los lejanos países predicando las verdades del Evangelio. Y al ver al santo, púsose en pie la princesa Psiquia y pronunció las siguientes palabras:

—¡Oh, enviado del más grande de los dioses! ¡Considerad cuál será mi desolación y mi honda pena, pues no puedo llevar a mis labios el agua única que puede calmar la sed de mi alma! ¡No es el amor, oh, príncipes, lo que está oculto a mis ojos, pues sé cómo son raras dulzuras, sus portentosas maravillas y los secretos todos de su poder, y por eso mis labios no se han movido cuando los herederos de los grandes reinos y los más bellos mancebos han venido a enamorarme; no es la gloria, cuyas palmas conozco y he escuchado resonar en el más espléndido y admirable de los carros triunfales; no es la fuerza, y así no me he conmovido ante el desfile de los conquistadores que han pasado cubiertos de hierro, con sus enormes hachas y espadas, semejantes por su fortaleza a los invisibles caballeros de los truenos; no es la ciencia, cuya última palabra he aprendido, oh, padre!, gracias a ti y a los genios que han venido a mis evocaciones; y así tampoco delante de los sabios y magos ha pronunciado mi lengua y una sola palabra, ¡Oh, extranjero! —exclamó con voz más

del cuerno mágico fueron llegando todos los sabios llenos de la ciencia de Oriente, que, como eran tan sabios, eran reyes y conocían los secretos de la magia. Los persas tenían riquísimas mitras y vestiduras que mostraban bordados los signos del Zodíaco; los de la India iban casi desnudos, con el misterio en los ojos y las cabelleras copiosas y luengas, otros, hebreos, tenían sobre los pechos, pintados en telas color de jacinto, palabras sagradas y nombres arcanos; otros de lejanos países, tenían coronas de oro y barbas trenzadas con hilos de oro, y en las manos sortijas de oro y gemas preciosas. Mirólos a todos la Princesa y permaneció muda.

Mas avino que llegaron los últimos tres reyes extraños, llamados Baltazar, de la raza de Jafet; Gaspar, de la raza de Cam; Melchor de la raza de Sem. Todos tres estuvieron largo tiempo contemplando a la princesa Psiquia, después de lo cual hablaron al desconsolado monarca, de la manera que se va a saber.

IV

De cómo los tres reyes vecinos hablaron de un ilustre y santo extranjero llamado Tomás, que en el país de ellos hábiales bautizado en nombre del verdadero Dios

Dijeron los tres reyes que en los ojos de la Princesa se miraban los resplandores de los deseos profundos e insaciables; que la ciencia de los magos no era suficiente para apagar la sed del alma de Psquia; que ellos, que habían conocido las tradiciones balamitas y habían profundizado los misterios de los astros, habían ido a un lugar lejano, hacía tiempo, a ofrendar oro, incienso y mirra a un Dios nuevo, el único grande y todopoderoso, el cual encontraron en un pesebre, y que

Y otros príncipes más de la Arabia Feliz y de los más remotos lugares de la India, y todos fueron vistos por la Princesa, que no pronunciaba una palabra y estaba cada día más triste; y ninguno de ellos logró ser elegido de ella, o tornarla despierta al amor como ellos lo habían sido desde sus países lejanos, al eco de las mágicas trompetas de oro. Por lo cual el rey sufrió gran descorazonamiento, y como quisiese siempre averiguar la causa del mal de Psiquia, envió a cuatro más fuertes trompeteros a tocar en la más alta de las torres de la ciudad, y hacia el lado del país de la Grecia, cuatro sonoras trompetas de plata. Del lado de los griegos llegó entonces una gran carroza en donde maravillosos liristas hacían resonar sus liras, y jóvenes hermosas agitaban palmas, y una alta figura de mujer, con grandísimo decoro extendía dos alas como de ángel, y tenía cerca de sus labios, asido con la diestra, un largo clarín. Y Psiquia miró el carro glorioso, y no dijo palabra. Entonces envió el rey otros cuatro gigantes trompeteros a tocar, en la más alta de las torres de la ciudad, cuatro sonoras trompetas de bronce a todos los cuatro puntos del horizonte. Oyóse un grande estruendo, y era que venían de todos los lados del mundo los caballeros que combatían y tenían en brazo la fuerza, vestidos de hierro, y cabalgaban en caballos vestidos de hierro también; y a su paso temblaba la tierra. Los más bravos venían de entre los sarracenos, de la tierra de Galia, en donde había las más terribles hachas, y del reino que fue después de Inglaterra.

De todos lugares venían, y ningún aparato de potencia y ningún signo de victoria pudo hacer que Psiquia hiciese oír su encantadora voz.

Y entonces subió el rey mismo a la más alta torre de la ciudad y tocó en el gran cuerno que tenía siempre en su cintura, tres veces, de tal guisa que hubo como un temblor extraño por todos los alrededores. Al son

tristeza y mudez. Y como el soberano pensase ser cosas de amor las que tenían absorta y desolada a la Princesa, mandó a cuatro de sus más fuertes trompeteros a tocar en la más alta de las torres de la ciudad, y hacia el lado en que nace la aurora, cuatro sonoras trompetas de oro.

El claro clamor fue alegrando las montañas y, con la obra de su magia, haciendo cantar de amor a las aves, y reverdecer de amor a los árboles, y humedecerse de amor las fauces de las fieras, y reventar de amor los botones de las flores, y el aire alegre cantar, y las rocas mismas sentir como si dentro de sus duras cortezas tuvieran un corazón.

Y a poco fueron llegando, primeramente un príncipe de de la China en un palanquín que venía por el aire y que tenía la forma de un pavo real, de modo que la cola, pintada naturalmente con todos los colores del arco iris, servíale de dosel incomparable, obra de unos espíritus que llaman genios. Y después un príncipe de la Mesopotamia, de gallardísima presencia, con ricos vestidos, y conducido en un carro lleno de piedras preciosas, como diamantes, rubíes, esmeraldas, crisoberilos, y la piedra peregrina y brillante dicha carbunclo. Y otro príncipe del país de Golconda, también bello y dueño de indescriptibles pedrerías, y otro de Ormuz, que dejaba en el ambiente un suave y deleitoso perfume, porque su carroza y sus vestidos y todo él estaban adornados con las perlas del mar de su reino, los cuales despiden aromas excelentísimos como las más olorosas flores, y son preferidas por las hechiceras nombradas fadas, cuando hacen, como madrinas, presentes en las bodas de las hijas de los reyes orientales. Y luego un príncipe de Persia, que tenía una soberbia cabellera e iba precedido de esclavos que quemaban perfumes y tocaban instrumentos que producían músicas exquisitas.

mano blanca se alzaba, bajábase, blandamente domada, la frente del gran rey de cabeza de león; el cual habíala iniciado en los secretos de la magia, dándole a conocer las palabras poderosas de los ensalmos y de las evocaciones, las frases de las músicas del aire, las lenguas de las aves y la íntima comprensión de todo lo que se mueve y vive sobre el haz de la tierra.

Así la princesa reía a sonoras carcajadas cuando escuchaba lo que decían los pájaros de su jardín, o se quedaba meditabunda al oír el soliloquio del chorro de una fuente o la plática de los rosales movidos por el viento.

Era en verdad, bellamente prodigioso contemplar cómo entre las fieras, tigres, leones, elefantes, panteras negras, que en circos y fosos guardábanse, iba ella como entre corderos, por la virtud de su poder secreto, intacta y triunfante, y parecía una reina de la Naturaleza que todo lo dominaba con el supremo encanto de su beldad, o mirarla rodeada de las más raras aves, a las cuales oía sus confidencias, o fija, desde su kiosco florido en los astros del cielo, en los cuales había aprendido a leer.

Y sucedió que tan llena de ciencia y de magia como estaba, un día amaneció desolada y triste, bañada en lágrimas, y no pronunciaba palabra, como si fuese una estatua de piedra de mármol.

III

De los varios modos que el rey empleó para averiguar la causa de la desolación de la princesa, y de cómo llegaron tres reyes vecinos

En vano el rey dirigía sus palabras y amables razones a su bella hija, pues ella permanecía sin decir palabra sobre la causa que le tenía en tan lamentable

encendían hogueras en donde se quemaban robles enteros y se celebraban fiestas misteriosas y sangrientas, que contemplaba desde una silla de oro y de hierro el rey, que era un rey mago que sabía la ciencia de los hechizos y conocía, como el rey Salomón, muchas cosas ocultas, al punto de que los pájaros del aire y las bestias del campo no tenían para él secretos, ni tampoco las ramas de los árboles, ni las voces de las montañas. Porque había estudiado toda la ciencia de Oriente, en donde la magia era tenida en gran conocimiento; y era su sabiduría obra del espíritu maligno, del cual N.S.J. nos libre. En el centro de la ciudad colosal estaba la morada del rey, toda de mármol y piedra de ónice y coronada por maravillosas cúpulas y torres; y en medio de ella, en un kiosco primoroso, rodeado de un delicioso jardín en donde se veían liadísimas aves y flores de países recónditos, olorosas y de magníficos colores, vivía la hermosa hija del monarca, Psiquia, la cual superaba en blancura a las más blancas garzas reales y a los más ilustres cisnes.

II

Descripción de la beldad de Psiquia, y de cómo su padre necio a la princesa en los secretos de la magia

Entre todos los habitantes del reino, era Psiquia una excepción, pues en aquel país de gigantes, en la ciudad monumental, su figura no era desmesurada; antes bien, fina y suave, de modo que al lado del rey, su padre, coloso de anchas manos y largas crines rojas, tenía el aspecto de una paloma humana o una viva flor de lis. Sus ojos eran dos enigmas azules, sus cabellos resplandecían como impregnados de sol, su boca rosada era la más bella corola; la euritmia de su cuerpo, una gloria de armonía, y cuando su pequeña

Historia prodigiosa de la princesa Psiquia

I

De la ciudad en que moraba la princesa Psiquia y del Rey Mago, su padre.

Muy más allá del territorio de Emesa, en Fenicia, en tiempos de las persecuciones de Segundo y de las santas prédicas del santo varón Onofre, Liborio, monje, escribió la peregrina historia de la princesa Psiquia, la cual fue narrada por un gentil que fue purificado con las aguas del bautismo; el cual había habitado la ciudad portentosa en donde se verificaron los sucesos en estas páginas rememorados. Este monje liborio fue amigo de Galación, el santo, y de Epistemia, que padecieron martirio bajo el poder del emperador Decio.

Y en la ciudad en donde habitaba el rey mago la mayor y más grande de todas las ciudades de un vastísimo y escondido reino de Asia, en donde los hombres tenían colosales estaturas y costumbres distintas, y maneras de otro modo que todos los otros hombres, y por cuanto no había llegado todavía, en el tiempo en que pasó la historia que nos ocupa, la luz que los apóstoles derramaron por todo el mundo en nombre de Nuestro Señor Jesús, aquellos gigantes gentiles adoraban figuras e ídolos de metales diversos y de formas enormes y tremendas. Era la ciudad como una montaña de bronce y de piedra dura, y los palacios monumentales tenían extrañas arquitecturas ignoradas de los cristianos, murallas inmensas, columnas y escaleras y espirales altísimas, que casi se perdían en la altura de las nubes. Y cerca había bosques espesos y muy grandes florestas, en donde los cazadores del rey cazaban leones, águilas y búfalos. En las plazas de la gran ciudad estaban los ídolos, y ante ellos se

cortesanos, al pobre diablo de poeta, como gorrión que mata el hielo, con una sonrisa amarga en los labios, y todavía con la mano en el manubrio.

¡Oh, mi amigo! el cielo está opaco, el aire frío, el día triste. Flotan brumosas y grises melancolías...

Pero ¡cuánto calienta el alma una frase, un apretón de manos a tiempo! ¡Hasta la vista!

las miradas del gran sol! ¿Pasaba el Rey por las cercanías? ¡Tiririrín, tiririrín...! ¿Había que llenar el estómago? ¡Tiririrín! Todo entre las burlas de los pájaros libres, que llegaban a beber rocío en las lilas floridas; entre el zumbido de las abejas, que le picaban el rostro y le llenaban los ojos de lágrimas, ¡tiririrín...! ¡lágrimas amargas que rodaban por sus mejillas y que caían a la tierra negra!

Y llegó el invierno, y el pobre sintió frío en el cuerpo y en el alma. Y su cerebro estaba como petrificado, y los grandes himnos estaban en el olvido, y el poeta de la montaña coronada de águilas, no era sino un pobre diablo que daba vueltas al manubrio, tiririrín.

Y cuando cayó la nieve se olvidaron de él, el Rey y sus vasallos; a los pájaros se les abrigó, y a él se le dejó al aire glacial que le mordía las carnes y le azotaba el rostro, ¡tiririrín!

Y una noche en que caía de lo alto la lluvia blanca de plumillas cristalizadas, en el palacio había festín, y la luz de las arañas reía alegre sobre los mármoles, sobre el oro y sobre las túnicas de los mandarines de las viejas porcelanas. Y se aplaudían hasta la locura los brindis del señor profesor de retórica, cuajados de dáctilos, de anapestos y de pirriquios, mientras en las copas cristalinas hervía el champaña con su burbujeo luminoso y fugaz. ¡Noche de invierno, noche de fiesta! Y el infeliz cubierto de nieve, cerca del estanque, daba vueltas al manubrio para calentarse ¡tiririrín, tiririrín! tembloroso y aterido, insultado por el cierzo, bajo la blancura implacable y helada, en la noche sombría, haciendo resonar entre los árboles sin hojas la música loca de las galopas y cuadrillas; y se quedó muerto, tiririrín... pensando en que nacería el sol del día venidero, y con él el ideal, tiririrín..., y en que el arte no vestiría pantalones sino manto de llamas, o de oro... Hasta que al día siguiente, lo hallaron el rey y sus

tiempo de las grandes revoluciones, con un Mesías todo luz, todo agitación y potencia, y es preciso recibir su espíritu con el poema que sea arco triunfal, de estrofas de acero, de estrofas de oro, de estrofas de amor.

¡Señor, el arte no está en los fríos envoltorios de mármol, ni en los cuadros lamidos, ni en el excelente señor Ohnet! ¡Señor! El arte no viste pantalones, ni habla en burgués, ni pone los puntos en todas las íes. Él es augusto, tiene mantos de oro o de llamas, o anda desnudo, y amasa la greda con fiebre, y pinta con luz, y es opulento, y da golpes de ala como las águilas, o zarpazos como los leones. Señor, entre un Apolo y un ganso, preferid el Apolo, aunque el uno sea de tierra cocida y el otro de marfil.

¡Oh, la Poesía!

¡Y bien! Los ritmos se prostituyen, se cantan los lunares de la mujeres, y se fabrican jarabes poéticos. Además, señor, el zapatero critica mis endecasílabos, y el señor profesor de farmacia pone puntos y comas a mi inspiración. Señor, ¡y vos lo autorizáis todo esto!... El ideal, el ideal...

El Rey interrumpió:

—Ya habéis oído. ¿Qué hacer?

Y un filósofo al uso:

—Si lo permitís, señor, puede ganarse la comida con una caja de música; podemos colocarle en el jardín, cerca de los cisnes, para cuando os paseéis.

—Sí —dijo el Rey y dirigiéndose al poeta:

—Daréis vueltas a un manubrio. Cerraréis la boca. Haréis sonar una caja de música que toca valses, cuadrillas y galopas, como no prefiráis moriros de hambre. Pieza de música por pedazo de pan. Nada de jerigonzas, ni de ideales. Id.

Y desde aquel día pudo verse a la orilla del estanque de los cisnes, al poeta hambriento que daba vueltas al manubrio: tiririrín, tiririrín... ¡avergonzado a

Un día le llevaron una rara especie de hombre ante su trono, donde se hallaba rodeado de cortesanos, de retóricos y de maestros de equitación y de baile.

—¿Qué es eso? —preguntó.

—Señor, es un poeta.

El Rey tenía cisnes en el estanque, canarios, gorriones, censotes en la pajarera: un poeta era algo nuevo y extraño.

—Dejadle aquí.

Y el poeta:

—Señor, no he comido.

Y el Rey:

—Habla y comerás.

Comenzó:

—Señor, ha tiempo que yo canto el verbo del porvenir. He tendido mis alas al huracán; he nacido en el tiempo de la aurora; busco la raza escogida que debe esperar con el himno en la boca y la lira en la mano, la salida del gran sol. He abandonado la inspiración de la ciudad malsana, la alcoba llena de perfumes, la musa de carne que llena el alma de pequeñez y el rostro de polvos de arroz. He roto el arpa adulona de las cuerdas débiles, contra las copas de Bohemia y las jarras donde espúmea el vino que embriaga sin dar fortaleza; he arrojado el manto que me hacía parecer histrión, o mujer, y he vestido de modo salvaje y espléndido: mi harapo es de púrpura. He ido a la selva, donde he quedado vigoroso y ahíto de leche fecunda y licor de nueva vida; y en la ribera del mar áspero, sacudiendo la cabeza bajo la fuerte y negra tempestad, como un ángel soberbio, o como un semidiós olímpico, he ensayado el yambo dando al olvido el madrigal.

He acariciado a la gran naturaleza, y he buscado al calor del ideal, el verso que está en el astro en el fondo del cielo, y el que está en la perla en lo profundo del océano. ¡He querido ser pujante! Porque viene el

gusto. Subía por una escalera llena de columnas de alabastro y de esmaragdina, que tenía a los lados leones de mármol como los de los tronos salomónicos. Refinamiento. A más de los cisnes, tenía una vasta pajarera, como amante de la armonía, del arrullo, del trino; y cerca de ella iba a ensanchar su espíritu, leyendo novelas de M. Ohnet, o bellos libros sobre cuestiones gramaticales, o críticas hermosillescas. Eso sí: defensor acérrimo de la corrección académica en letras, y del modo lamido en artes; ¡alma sublime amante de la lija y de la ortografía!

¡Japonerías!¡Chinerías! Por moda y nada más. Bien podía darse el placer de un salón digno del gusto de un Goncourt y de los millones de un Creso: quimeras de bronce con las fauces abiertas y las colas enroscadas, en grupos fantásticos y maravillosos; lacas de Kioto con incrustaciones de hojas y ramas de una flora monstruosa, y animales de una fauna desconocida; mariposas de raros abanicos junto a las paredes; peces y gallos de colores; máscaras de gestos infernales y con ojos como si fuesen vivos; partesanas de hojas antiquísimas y empuñaduras con dragones devorando flores de loto; y en conchas de huevo, túnicas de seda amarilla, como tejidas con hilos de araña, sembradas de garzas rojas y de verdes matas de arroz; y tibores, porcelanas de muchos siglos, de aquellas en que hay guerreros tártaros con una piel que les cubre hasta los riñones, y que llevan arcos estirados y manojos de flechas.

Por lo demás, había el salón griego, lleno de mármoles: diosas, musas, ninfas y sátiros; el salón de los tiempos galantes, con cuadros del gran Watteau y de Chardin; dos, tres, cuatro, ¿cuántos salones?

Y Mecenas se paseaba por todos, con la cara inundada de cierta majestad, el vientre feliz y la corona en la cabeza, como un Rey de naipe.

El Rey burgués

¡Amigo! El cielo está opaco, el aire frío, el día triste. Un cuento alegre... así como para distraer las brumosas y grises melancolías, helo aquí:

Había en una ciudad inmensa y brillante un Rey muy poderoso, que tenía trajes caprichosos y ricos, esclavas desnudas, blancas y negras, caballos de largas crines, armas flamantísimas, galgos rápidos, y monteros con cuernos de bronce que llenaban el viento con sus fanfarrias. ¿Era un Rey poeta? No, amigo mío: era el Rey Burgués.

Era muy aficionado a las artes el soberano, y favorecía con gran largueza a sus músicos, a sus hacedores de ditirambos, pintores, escultores, boticarios, barberos y maestros de esgrima.

Cuando iba a la floresta, junto al corzo o jabalí herido y sangriento, hacía improvisar a sus profesores de retórica, canciones alusivas; los criados llenaban las copas del vino de oro que hierve, y las mujeres batían palmas con movimientos rítmicos y gallardos. Era un Rey sol, en su Babilonia llena de músicas, de carcajadas y de ruido de festín. Cuando se hastiaba de la ciudad bullente, iba de caza atronando el bosque con sus tropeles; y hacía salir de sus nidos a las aves asustadas, y el vocerío repercutía en lo más escondido de las cavernas. Los perros de patas elásticas iban rompiendo la maleza en la carrera, y los cazadores inclinados sobre el pescuezo de los caballos, hacían ondear los mantos purpúreos y llevaban las caras encendidas y las cabelleras al viento.

El Rey tenía un palacio soberbio donde había acumulado riquezas y objetos de arte maravillosos. Llegaba a él por entre grupos de lilas y extensos estanques, siendo saludado por los cisnes de cuellos blancos, antes que por los lacayos estirados. Buen

flacos, barbudos e impertinentes. Los cuales cesaron de estar tristes, porque penetró en su pecho la esperanza, y en su cabeza el sol alegre, con el diablillo de la vanidad, que consuela en sus profundas decepciones a los pobres artistas.

Y desde entonces, en las buhardillas de los brillantes infelices, donde flota el sueño azul, se piensa en el porvenir como en la aurora, y se oyen risas que quitan la tristeza, y se bailan extrañas farandolas, alrededor de un blanco Apolo, de un lindo paisaje, de un violín viejo, de un amarillento manuscrito.

Y decía el otro: —Perdida mi alma en la gran ilusión de mis sinfonías, temo todas las decepciones. Yo escucho todas las armonías, desde la lira de Terpandro hasta las fantasías orquestales de Wagner. Mis ideales brillan en medio de mis audacias de inspirado.

Yo tengo la percepción del filósofo que oyó la música de los astros. Todos los ruidos pueden aprisionarse, todos los ecos son susceptibles de combinaciones. Todo cabe en una línea de mis escalas cromáticas.

Y el último: —Todos bebemos del agua clara de la fuente de Jonia. Pero el ideal flota en el azul, y para que los espíritus gocen de su luz suprema, es preciso que asciendan. Yo tengo el verso que es de miel y el que es de oro, y el que es de hierro candente. Yo soy el ánfora del celeste perfume: tengo el amor. Paloma, estrella, nido, lirio, vosotros conocéis mi morada. Para los vuelos inconmensurables tengo alas de águila que parten a golpes mágicos el huracán. Y para hallar consonantes, los busco en dos bocas que se juntan; y estalla el beso, y escribo la estrofa, y entonces, si veis mi alma, conoceréis a mi Musa. Amo las epopeyas porque de ellas brota el soplo heroico que agita las banderas que ondean sobre las lanzas y los penachos que tiemblan sobre los cascos; los cantos líricos, porque hablan de las diosas y de los amores; y las églogas, porque son olorosas a verbena y a tomillo, y al santo aliento del buey coronado de rosas. Yo escribiría algo inmortal; mas me abruma un porvenir de miseria y de hambre...

Entonces la Reina Mab, del fondo de su carro hecho de una sola perla, tomó un velo azul, casi impalpable, como formado de suspiros, o de miradas de ángeles rubios y pensativos. Y aquel velo era el velo de los sueños, de los dulces sueños que hacen ver la vida de color de rosa. Y con él volvió a los cuatro hombres

que a tus ojos arrojan el magnífico *kitón,* mostrando la esplendidez de la forma, en sus cuerpos de rosa y nieve.

Tú golpeas, hieres y domas el mármol, y suena el golpe armónico como un verso, y te adula la cigarra, amante del sol, oculta entre los pámpanos de la viña virgen. Para ti son los Apolos rubios y luminosos, las Minervas severas y soberanas. Tú, como un mago, conviertes la roca en simulacro y el colmillo del elefante en copa del festín. Y al ver tu grandeza siento el martirio de mi pequeñez. Porque pasaron los tiempos gloriosos. Porque tiemblo ante las miradas de hoy. Porque contemplo el ideal inmenso y las fuerzas exhaustas.

Porque a medida que cincelo el bloque me ataraza el desaliento.

Y decía el otro: —Lo que es hoy romperé mis pinceles. ¿Para qué quiero el iris y esta gran paleta del campo florido, si a la postre mi cuadro no será admitido en el salón? ¿Qué abordaré? He recorrido todas las escuelas, todas las inspiraciones artísticas. He pintado el torso de Diana y el rostro de la Madona. He pedido a las campiñas sus colores, sus matices; he adulado a la luz como a una amada, y la he abrazado como a una querida. He sido adorador del desnudo, con sus magnificencias, con los tonos de sus carnaciones y con sus fugaces medias tintas. He trazado en mis lienzos los nimbos de los santos y las alas de los querubines. ¡Ah, pero siempre el terrible desencanto! ¡El porvenir! Vender una Cleopatra en dos pesetas para poder almorzar!

¡Y yo que podría, en el estremecimiento de mi inspiración, trazar el gran cuadro que tengo aquí dentro...!

* * *

El velo de la Reina Mab

La Reina Mab, en su carro hecho de una sola perla, tirado por cuatro coleópteros de petos dorados y alas de pedrería, caminando sobre un rayo de sol, se coló por la ventana de una buhardilla donde estaban cuatro hombres flacos, barbudos e impertinentes, lamentándose como unos desdichados.

Por aquel tiempo, las hadas habían repartido sus dones a los mortales. A unos habían dado las varitas misteriosas que llenan de oro las pesadas cajas del comercio; a otros unas espigas maravillosas que al desgranarlas colmaban las trojes de riqueza; a otros unos cristales que hacían ver en el riñón de la madre tierra, oro y piedras preciosas; a quienes cabelleras espesas y músculos de Goliat, y mazas enormes para machacar el hierro encendido; y a quienes talones fuertes y piernas ágiles para montar en las rápidas caballerías que se beben el viento y que tienden las crines en la carrera.

Los cuatro hombres se quejaban. Al uno le había tocado en suerte una cantera, al otro el iris, al otro el ritmo, al otro el cielo azul.

La Reina Mab oyó sus palabras. Decía el primero: —¡Y bien! ¡Heme aquí en la gran lucha de mis sueños de mármol! Yo he arrancado el bloque y tengo el cincel. Todos tenéis, unos el oro, otros la armonía, otros la luz; yo pienso en la blanca y divina Venus que muestra su desnudez bajo el plafón color de cielo. Yo quiero dar a la masa la línea y la hermosura plástica; y que circule por las venas de la estatua una sangre incolora como la de los dioses. Yo tengo el espíritu de Grecia en el cerebro, y amo los desnudos en que la ninfa huye y el fauno tiende los brazos. ¡Oh, Fidias! Tú eres para mí soberbio y augusto como un semidiós, en el recinto de la eterna belleza, rey ante un ejército de hermosuras

en desfallecientes sueños nupciales; todas —bien dice un poeta— como cinceladas en jaspe.

Ah, pero las otras tenían algo de más encantador para mí. Mi Elena se me antojaba como semejante a ellas, con su color de canela y de rosa, gallarda y gentil.

Ya el sol desaparecía arrastrando toda su púrpura opulenta de rey oriental. Yo había halagado a la amada tiernamente con mis juramentos y frases melifluas y cálidas, y juntos seguíamos en un lánguido dúo de pasión inmensa. Habíamos sido hasta ahí dos amantes soñadores, consagrados místicamente uno a otro.

De pronto y como atraídos por una fuerza secreta, en un momento inexplicable, nos besamos en la boca, todos trémulos, con un beso para mí sacratísimo y supremo: el primer beso recibido de labios de mujer. ¡Oh, Salomón, bíblico y real poeta!, tú lo dijiste como nadie: *Mel et lac sub lengua tua.*

Aquel día no soñamos más.

* * *

¡Ah, mi adorable, mi bella, mi querida garza morena! Tú tienes en los recuerdos que en mi alma forman lo más alto y sublime, una luz inmortal.

Porque tú me revelaste el secreto de las delicias divinas, en el inefable primer instante de amor.

nuestras almas cantaban un unísono embriagador como dos invisibles y divinas filomelas.

Yo extasiado veía a la mujer tierna y ardiente; con su cabellera castaña que acariciaba con mis manos su rostro color de canela y rosa, su boca cleopatrina, su cuerpo gallardo y virginal; y oía su voz queda, muy queda, que me decía frases cariñosas, tan bajo, como que sólo eran para mí, temerosa quizás de que se las llevase el viento vespertino. Fija en mí, me inundaban de felicidad sus ojos de Minerva, ojos verdes, ojos que deben siempre gustar a los poetas.

Luego erraban nuestras miradas por el lago, todavía llena de vaga claridad. Cerca de la orilla, se detuvo un gran grupo de garzas.

Garzas blancas, garzas morenas, de esas que cuando el día calienta, llegan a las riberas a espantar a los cocodrilos, que, con las anchas mandíbulas abiertas, beben el sol sobre las rocas negras.

¡Bellas garzas! Algunas ocultaban los largos cuellos en la onda o bajo el ala, y semejaban grandes manchas de flores vivas y sonrosadas, móviles y apacibles. A veces, sobre una pata, se alisaba con el pico las plumas, o permanecía inmóvil, escultural o hieráticamente, o varias daban un corto vuelo, formando en el fondo de la ribera llena de verde, o en el cielo, caprichosos dibujos, como las bandadas de grullas de un parasol chino.

Me imaginaba junto a mi amada, que de aquel país de la altura, me traerían las garzas muchos versos desconocidos y soñadores. Las garzas blancas las encontraba más puras y más voluptuosas, con la pureza de la paloma y la voluptuosidad del cisne; garridas con sus cuellos reales, parecidos a los de las damas inglesas que junto a los pajecillos rizados se ven en aquel cuadro en que Shakespeare recita en la corte de Londres. Sus alas delicadas y albas, hacen pensar

rostro estaba junto al suyo. Los cándidos animales nos rodeaban... Me turbaba el cerebro una onda invisible y fuerte de aroma femenil. ¡Se me antojaba Inés una paloma hermosa y humana, blanca y sublime; y al propio tiempo, llena de fuego, de ardor, !un tesoro de dichas! No dije más. Le tomé la cabeza y le di un beso, en una mejilla, un beso rápido, quemante de pasión furiosa. Ella, un tanto enojada, salió en fuga. Las palomas se asustaron y alzaron el vuelo, formando un opaco ruido de alas sobre los arbustos temblorosos. Yo abrumado, quedé inmóvil.

* * *

Al poco tiempo partía a otra ciudad. La paloma blanca y rubia no había, ¡ay!, mostrado a mis ojos el soñado paraíso del misterioso deleite.

* * *

¡Musa ardiente y sacra para mi alma, el día había de llegar! Elena, la graciosa, la alegre, ella fue el nuevo amor. ¡Bendita sea aquella boca, que murmuró por primera vez cerca de mí las inefables palabrasi

Era allá, en una ciudad que está a la orilla de un lago de mi tierra, un lago encantador, lleno de islas floridas, con pájaros de colores.

Los dos solos estábamos cogidos de las manos, sentados en el viejo muelle, debajo del cual el agua glauca y oscura chapoteaba musicalmente. Había un crepúsculo acariciador, de aquéllos que son la delicia de los enamorados tropicales. En el cielo opalino se veía una diafanidad apacible que disminuía hasta cambiarse en tonos de violeta oscuro, por parte del oriente, y aumentaba convirtiéndose en oro sonrosado en el horizonte profundo, donde vibraban oblicuos, rojos y desfallecientes, los últimos rayos solares. Arrastrada por el deseo, me miraba la adorada mía y nuestros ojos se decían cosas ardorosas y extrañas. En el fondo de

lejos, lloraba, sí, lloraba lágrimas amargas, las primeras de mis desengaños de hombre!

* * *

Los cambios fisiológicos que en mí se sucedían y las agitaciones de mi espíritu, me conmovían hondamente. ¡Dios mío! Soñador, un pequeño poeta como me creía, al comenzarme el bozo, sentía lleno de ilusiones la cabeza, de versos los labios, y mi alma y mi cuerpo de púber tenían sed de amor. ¿Cuándo llegaría el momento soberano en que alumbraría una celeste mirada el fondo de mi ser, y aquel en que se rasgaría el velo del enigma atrayente?

Un día, a pleno sol, Inés estaba en el jardín regando trigo, entre los arbustos y las flores, a las que llamaba sus amigas: unas palomas albas, arrulladoras, con sus buches níveos y amorosamente musicales. Llevaba un traje gris, azulado, de anchas mangas, que dejaban ver casi por entero los satinados brazos alabastrinos, los cabellos los tenía recogidos y húmedos, y el vello alborotado de su nuca blanca y rosa, era para mí como luz crespa. Las aves andaban a su alrededor cucurruqueando, e imprimían en el suelo oscuro la estrella acarminada de sus patas.

Hacía calor. Yo estaba oculto tras los ramajes de unos jazmineros. La devoraba con los ojos. Por fin se acercó por mi escondite, la prima gentil. Me vio trémulo, enrojecida la faz, en mis ojos una llama viva y rara y acariciante, y se puso a reír cruelmente, terriblemente. ¡Y bien! ¡Oh aquello no era posible! Me lancé con rapidez frente a ella.

Audaz, formidable debía de estar, cuando ella retrocedió como asustada, un paso.

—¡Te amo!

Entonces tornó a reír. Una paloma voló a uno de sus brazos. Ella la mimó dándole granos de trigo entre las perlas de su boca fresca y sensual. Me acerqué más. Mi

antiguas de mi abuela y del traje de Inés, coqueto, ajustado, para mí siempre revelador.

¡Oh, Eros!

* * *

—Inés...

—¿...?

Y estábamos solos, a la luz de la luna argentina, dulce, una bella luna de aquéllas del país de Nicaragua!

Le dije todo lo que sentía, suplicante, balbuciente, febril, temeroso, echando las palabras, ya rápidas, ya contenidas. ¡Sí! Se lo dije todo: las agitaciones sordas y extrañas que en mí experimentaba cerca de ella, el amor, el ansia, los tristes insomnios del deseo, mis ideas fijas en ella, allá en mis meditaciones del colegio; y repetía como una oración sagrada la gran palabra: el amor! ¡Oh ella debía recibir gozosa mi adoración! Creceríamos más.

Seríamos marido y mujer...

Esperé.

La pálida claridad celeste nos iluminaba. El ambiente nos llevaba perfumes tibios que a mí se me imaginaban propicios para los fogosos amores. ¡Cabellos áureos, ojos paradisíacos, labios encendidos y entreabiertos!

De repente y con un mohín:

—Ve la tontería...

Y corrió como una gata alegre a donde se hallaba la buena abuela, rezando a la callada sus rosarios y responsorios.

Con risa descocada de educanda maliciosa, con aire de locuela:

—¡Eh, abuelita, ya me dijo...!

¡Ellas, pues, ya sabían que yo debía «decir»...!

Con su reír interrumpía el rezo de la anciana, que se quedó pensativa acariciando las cuentas de su camándula. Y yo, que todo lo veía, a la husma, de

Luego tuve revelaciones profundas. Supe muchas cosas. Entre ellas que los besos eran un placer exquisito.

Tiempo.

Leí Pablo y Virginia. Llegó un fin de año escolar, y salí en vacaciones, rápido como una saeta, camino de mi casa. ¡Libertad!

* * *

Mi prima —¡pero, Dios santo, en tan poco tiempo! —se había hecho una mujer completa. Yo delante de ella me hallaba como avergonzado, un tanto serio. Cuando me dirigía la palabra, me ponía a sonreírle con una sonrisa simple.

Ya tenía quince años y medio Inés. La cabellera, dorada y luminosa al sol, era un tesoro. Blanca y levemente amapolaza, su cara era una creación murillesca, si veía de frente. A veces, contemplando su perfil, pensaba en una soberbia medalla siracusana, en un rostro de princesa. El traje, corto antes, había descendido. El seno, firme y esponjado, era un ensueño oculto y supremo; la voz clara y vibrante, las pupilas azules, inefables; la boca llena de fragancia de vida y de color de púrpura. ¡Sana y virginal primavera!

La abuelita me recibió con los brazos abiertos. Inés se negó a abrazarme, me tendió la mano. Después no me atreví a invitarla a los juegos de antes. Me sentía tímido. ¡Y qué!, ella debía sentir algo de lo que yo. ¡Yo amaba a mi prima!

Inés los domingos, iba con la abuela a misa, muy de mañana.

Mi dormitorio estaba vecino al de ellas. Cuando cantaban los campanarios su sonora llamada matinal, ya estaba yo despierto.

Oía, oreja atenta, el ruido de las ropas. Por la puerta entreabierta veía salir a la pareja que hablaba en voz ala. Cerca de mí pasaba el frufrú de las polleras

Palomas blancas y garzas morenas

Mi prima Inés era rubia como una alemana. Fuimos criados juntos, desde muy niños, en casa de la buena abuelita que nos amaba mucho y nos hacía vernos como hermanos, vigilándonos cuidadosamente, viendo que no riñésemos. Adorable, la viejecita, con sus trajes a grandes flores, y sus cabellos crespos y recogidos, como una vieja marquesa de Boucher.

* * *

Inés era un poco mayor que yo. No obstante, yo aprendí a leer antes que ella; y comprendía —lo recuerdo muy bien— lo que ella recitaba de memoria, maquinalmente, en una pastorela, donde bailaba y cantaba delante del niño Jesús, la hermosa María y el señor San José; todo con el gozo de las sencillas personas mayores de la familia, que reían con risa de miel, alabando el talento de la actrizuela.

Inés crecía. Yo también; pero no tanto como ella. Yo debía entrar a un colegio, en internado terrible y triste, a dedicarme a los áridos estudios del bachillerato, a comer los platos clásicos de los estudiantes, a no ver el mundo —mi mundo de mozo— y mi casa, mi abuela, mi prima, mi gato —un excelente romano que se restregaba cariñosamente en mis piernas y me llenaba los trajes negros de pelos blancos.

Partí.

Allá en el colegio mi adolescencia se despertó por completo. Mi voz tomó timbres aflautados y roncos; llegué al periodo ridículo del niño que pasa a joven. Entonces, por un fenómeno especial, en vez de preocuparme de mi profesor de matemáticas, que no logró nunca hacer que yo comprendiese el binomio de Newton, pensé —todavía vaga y misteriosamente— en mi prima Inés.

mí, ¡oh señor!, si yo estuviese en lugar tuyo le daría mi guirnalda de pámpanos y mi tirso. Existen dos potencias, la real y la ideal. Lo que Hércules haría con sus muñecas, Orfeo lo hace con su inspiración. El dios robusto despedazaría de un puñetazo al mismo Athos. Orfeo les amansaría con la eficacia de su voz triunfante, a Nemea su león y a Erimanto su jabalí. De los hombres unos han nacido para forjar los metales, otros para arrancar del suelo fértil las espigas del trigal, otros para combatir en las sangrientas guerras y otros para enseñar, glorificar y cantar. Si soy tu coopero y te doy vino, goza tu paladar; si te ofrezco un himno, goza tu alma.

* * *

Mientras cantaba la alondra, Orfeo le acompañaba con su instrumento, y un vasto dominante soplo lírico se escapaba del boque verde y fragante. El sátiro sordo comenzaba a impacientarse. ¿Quién era aquel extraño visitante? ¿Por qué ante él había cesado la danza loca y voluptuosa? ¿Qué decían sus dos consejeros?

¡Ah, la alondra había cantado, pero el sátiro no oía! Por fin, dirigió su vista al asno.

¿Faltaba su opinión? Pues bien, ante la selva enorme y sonora, bajo el azul sagrado, el asno movió la cabeza de un lado a otro, grave, terco, silencioso, como el sabio que medita.

Entonces, con su pie hendido, hirió el sátiro el suelo, arrugó su frente con enojo, y sin darse cuenta de nada, exclamó, señalando a Orfeo la salida de la selva:

—¡No!...

Al vecino Olimpo llegó el eco y resonó allá, donde los dioses estaban de broma, un coro de carcajadas formidables que después se llamaron homéricas.

Orfeo salió triste de la selva del sátiro sordo y casi dispuesto a ahorcarse del primer laurel que hallase en su camino.

No se ahorcó pero se casó con Eurídice.

Orfeo hacía gemir los leones y llorar los guijarros con la música de su lira rítmica. Las bacantes más furiosas habían callado y le oían como en un sueño. Una náyade virgen a quien nunca ni una sola mirada del sátiro había profanado, se acercó tímida al cantor y le dijo temblando en voz baja: «Yo te amo». Filomela había volado a posarse en la lira como la paloma anacreóntica. No había más eco que la voz de Orfeo. Naturaleza sentía el himno. Venus, que pasaba por las cercanías, preguntó de lejos con su divina voz: «¿Está acaso aquí Apolo?»

Y en toda aquella inmensidad de maravillosa armonía, el único que no oía nada era el sátiro sordo.

Cuando el poeta concluyó, dijo a éste: —¿Os place mi canto? Si es así, me quedaré con vos en la selva.

El sátiro dirigió una mirada a sus dos consejeros. Era preciso que ellos resolviesen lo que no podía comprender él. Aquella mirada pedía una opinión.

* * *

Señor —dijo la alondra, esforzándose en producir la voz más fuerte de su buche— quédese quien así ha cantado con nosotros. He aquí que su lira es bella y potente. Te ha ofrecido la grandeza y la luz rara que hoy has visto en tu selva. Te ha dado su armonía. Señor, yo sé de estas cosas. Cuando viene el alba desnuda y se despierta el mundo, yo me remonto a los profundos cielos y vierto desde la altura las perlas invisibles de mis trinos, y entre las claridades matutinas mi melodía inunda el aire, y es el regocijo del espacio. Pues yo te digo que Orfeo ha cantado bien, y es un elegido de los dioses. Su música embriagó el bosque entero. Las águilas se han acercado a revolar sobre nuestras cabezas, los arbustos floridos han agitado suavemente sus incensarios misteriosos, las abejas han dejado sus celdillas para venir a escuchar. En cuanto a

Cuando Orfeo tañía su lira había sonrisa en el rostro apolíneo.

Deméter sentía gozo. Las palmeras derramaban su polen, las semillas reventaban, los leones movían blandamente su crin. Una vez voló un clavel de su tallo hecho mariposa roja, y una estrella descendió fascinada y se tornó flor de lis.

Qué selva mejor que la del sátiro, a quién él encantaría, donde sería tenido como un semidiós; selva toda alegría y danza, belleza y lujuria; donde ninfas y bacantes eran siempre acariciadas y siempre vírgenes; donde había uvas y rosas y ruido de sistros, y donde el rey caprípede bailaba delante de sus faunos beodo y haciendo gestos como Sileno.

* * *

Fue con su corona de laurel, su lira, su frente de poeta orgulloso, erguida y radiante.

Llegó hasta donde estaba el sátiro velludo y montaraz, y para pedirle hospitalidad, cantó. Cantó del gran Jove, de Eros y de Afrodita, de los centauros gallardos y de las bacantes ardientes: cantó la copa de Dionisio, y el tirso que hiere el aire alegre, y a Pan, Emperador de las montañas, Soberano de los bosques, dios-sátiro que también sabía cantar. Cantó de las intimidades del aire y de la tierra, gran madre. Así explicó la melodía de un caracol y las notas armónicas que brotan de una siringa. Cantó del verso, que baja del cielo y place a los dioses, del que acompaña el bárbitos en la ola y el tímpano en el peán. Cantó los senos de nieve tibia y las copas de oro labrado, y el buche del pájaro y la gloria del sol.

Y desde el principio del cántico brilló la luz con más fulgores. Los enormes troncos se conmovieron, y hubo rosas que se deshojaron y lirios que se inclinaron lánguidamente como en un dulce desmayo. Porque

volvió sordo. Antes, si cansado de su lascivia soplaba su flauta dulcemente, la alondra le acompañaba.

Después en su gran bosque, donde no oía ni la voz del olímpico trueno, el paciente animal de las largas orejas le servía para cabalgar, en tanto que la alondra, en los apogeos del alba, se le iba de las manos, cantando camino de los cielos.

La selva era enorme. De ella tocaba a la alondra la cumbre, al asno el pasto. La alondra era saludada por los primeros rayos de la aurora; bebía rocío en los retoños; despertaba al roble diciéndole: «Viejo roble, despiértate». Se deleitaba con un beso del sol: era amada por el lucero de la mañana. Y el hondo azul, tan grande, sabía que ella, tan chica, existía bajo su inmensidad. El asno (aunque entonces no había conversado con Kant) era experto en filosofía, según el decir común. El sátiro que le veía ramonear en la pastura, moviendo las orejas con aire grave, tenía alta idea de tal pensador. En aquellos días el asno no tenía como hoy tan larga fama. Moviendo sus mandíbulas, no se habría imaginado que escribiesen en su loa Daniel Heinsius en latín, Passerat, Buffon y el gran Hugo, en francés y mi amigo el doctor Valderrama en español.

Él pacienzudo, si le picaban las moscas, las espantaba con el rabo, daba coces de cuando en cuando y lanzaba bajo la bóveda del bosque el acorde extraño de su garganta. Y era mimado allí. Al dormir su siesta sobre la tierra negra y amable, le daban su olor las yerbas y las flores. Y los grandes árboles inclinaban su follaje para hacerle sombra.

Por aquellos días, Orfeo, poeta, espantado de la miseria de los hombres, pensó huir a los bosques, donde los troncos y las piedras le comprenderían y escucharían con éxtasis, y donde él pondría temblor de armonía y fuego de amor y de vida al sonar de su instrumento.

El sátiro sordo
Cuento griego

Habitaba cerca del Olimpo un sátiro, y era el viejo rey de su selva. Los dioses le habían dicho: «Goza, el bosque es tuyo; sé un feliz bribón, persigue ninfas y suena tu flauta.» El sátiro se divertía.

* * *

Un día que el padre Apolo estaba tañendo la divina lira, el sátiro salió de sus dominios y fue osado a subir el sacro monte y sorprender al dios crinado. Éste le castigó tornándole sordo como una roca. En balde en las espesuras de la selva llena de pájaros, se derramaban los trinos y emergían los arrullos. El sátiro no oía nada. Filomela llegaba a cantarle sobre su cabeza enmarañada y coronada de pámpanos, canciones que hacían detenerse los arroyos y enrojecerse las rosas pálidas. Él permanecía impasible, o lanzaba sus carcajadas salvajes y saltaba lascivo y alegre cuando percibía por el ramaje lleno de brechas, alguna cadera blanca y rotunda que acariciaba el sol con su luz rubia. Todos los animales le rodeaban como a un amo a quien se obedece.

A su vista, para distraerle, danzaban coros de bacantes encendidas en su fiebre loca, y acompañaban la armonía, cerca de él, faunos adolescentes, como hermosos efebos, que le acariciaban reverentemente con su sonrisa, y aunque no escuchaba ninguna voz, ni el ruido de los crótalos, gozaba de distintas maneras. Así pasaba la vida este rey barbudo que tenía patas de cabra.

* * *

Era un sátiro caprichoso.

Tenía dos consejeros áulicos: una alondra y un asno. La primera perdió su prestigio cuando el sátiro se

Aquel día no hubo pan ni medicinas en casa del tío Lucas, sino el muchacho destrozado, al que se abrazaba llorando el reumático, entre la gritería de la mujer y de los chicos, cuando llevaban el cadáver al cementerio.

Me despedí del viejo lanchero, y a pasos elásticos dejé el muelle, tomando el camino de la casa, y haciendo filosofía con toda la cachaza de un poeta, en tanto que una brisa glacial, que venía de mar afuera, pellizcaba tenazmente las narices y las orejas.

ya agitándose de un lado a otro, como un badajo, en el vacío.

La carga estaba amontonada. La ola movía pausadamente de cuando en cuando la embarcación colmada de fardos. Éstos formaban una a modo de pirámide en el centro. Había uno muy pesado, muy pesado. Era el más grande de todos, ancho, gordo y oloroso a brea. Venía en el fondo de la lancha. Un hombre de pie sobre él, era pequeña figura para el grueso zócalo.

Era algo como todos los prosaísmos de la importación envueltos en lona y fajados con correas de hierro. Sobre sus costados, en medio de líneas y triángulos negros, había letras que miraban como ojos. —Letras en «diamante» —decía el tío Lucas. Sus cintas de hierro estaban apretadas con clavos cabezudos y ásperos; y en las entrañas tendría el monstruo, cuando menos, linones y percales.

Sólo él faltaba.

—¡Se va el bruto! —dijo uno de los lancheros.

—¡El barrigón! —agregó el otro.

Y el hijo de Lucas, que estaba ansioso de acabar pronto, se alistaba para ir a cobrar y desayunarse, anudándose un pañuelo a cuadros al pescuezo.

Bajó la cadena danzando en el aire. Se amarró un gran lazo al fardo, se probó si estaba bien seguro, y se gritó: —¡Iza!— mientras la cadena tiraba de la masa chirriando y levantándola en vilo.

Los lancheros, de pie, miraban subir el enorme peso, y se preparaban para ir a tierra, cuando se vio una cosa horrible. El fardo, el grueso fardo, se zafó del lazo, como de un collar holgado saca el perro la cabeza; y cayó sobre el hijo del tío Lucas, que entre el filo de la lancha y el gran bulto quedó con los riñones rotos, el espinazo desencajado y echando sangre negra por la boca.

ambos forcejeando, ambos ganando su jornal, para ellos y para sus queridas sanguijuelas del conventillo.

Íbanse todos los días al trabajo, vestidos de viejo, fajadas las cinturas con sendas bandas coloradas, y haciendo sonar a una sus zapatos groseros y pesados que se quitaban al comenzar la tarea, tirándolos en un rincón de la lancha.

Empezaba el trajín, el cargar y el descargar. El padre era cuidadoso: —¡Muchacho, que te rompes la cabeza! ¡Que te coge la mano el chicote! ¡Que te vas a perder una canilla!—. Y enseñaba, adiestraba, dirigía al hijo, con su modo, con sus bruscas palabras de obrero viejo y de padre encariñado.

Hasta que un día el tío Lucas no pudo moverse de la cama, porque el reumatismo le hinchaba las coyunturas y le taladraba los huesos.

¡Oh! Y había que comprar medicinas y alimentos; eso, sí.

—Hijo, al trabajo, a buscar plata; hoy es sábado.

Y se fue el hijo, solo, casi corriendo, sin desayunarse, a la faena diaria.

Era un bello día de luz clara, de sol de oro. En el muelle rodaban los carros sobre sus rieles, crujían las poleas, chocaban las cadenas. Era la gran confusión del trabajo que da vértigo; el son del hierro, traqueteos por doquiera, y el viento pasando por el bosque de árboles y jarcias de los navíos en grupo.

Debajo de uno de los pescantes del muelle estaba el hijo del tío Lucas con otros lancheros, descargando a toda prisa. Había que vaciar la lancha repleta de fardos. De tiempo en tiempo bajaba la larga cadena que remata en un garfio, sonando como una matraca al correr con la roldana; los mozos amarraban los bultos con una cuerda doblada en dos, los enganchaban en el garfio, y entonces éstos subían a la manera de un pez en un anzuelo, o del plomo de una sonda, ya quietos,

castidad de las largas travesías, a emborracharse como cubas y a gritar y patalear como condenados. ¡Sí! entre la podredumbre, al estrépito de las fiestas tunantescas; el chico vivió, y pronto estuvo sano y en pie.

Luego llegaron sus quince años.

El tío Lucas había logrado, tras mil privaciones, comprar una canoa.

Se hizo pescador.

Al venir el alba, iba con su mocetón al agua, llevando los enseres de la pesca. El uno remaba, el otro ponía en los anzuelos la carnada.

Volvían a la costa con buena esperanza de vender lo hallado, entre la brisa fría y las opacidades de la neblina, cantando en baja voz algún «triste», y enhiesto el remo triunfante que chorreaba espuma.

Si había buena venta, otra salida por la tarde.

Una de invierno había temporal. Padre e hijo, en la pequeña embarcación, sufrían en el mar la locura de la ola y del viento. Difícil era llegar a tierra. Pesca y todo se fue al agua, y se pensó en librar el pellejo. Luchaban como desesperados por ganar la playa. Cerca de ella estaban; pero una racha maldita los empujó contra una roca, y la canoa se hizo astillas. Ellos salieron solo magullados, ¡gracias a Dios! como decía el tío Lucas al narrarlo. Después, ya son ambos lancheros.

¡Sí! lancheros; sobre las grandes embarcaciones chatas y negras; colgándose de la cadena que rechina pendiente como una sierpe de hierro del macizo pescante que semeja una horca; remando de pie y a compás; yendo con la lancha del muelle al vapor y del vapor al muelle; gritando: ¡hiiooeep! cuando se empujan los pesados bultos para engancharlos en la uña potente que los levanta balanceándolos como un péndulo. ¡Sí! lancheros; el viejo y el muchacho, el padre y el hijo; ambos a horcajadas sobre un cajón,

Aquellos ojos chicos y relumbrantes bajo las cejas grises y peludas, se humedecieron entonces.

¿Que cómo se murió? En el oficio, por darnos de comer a todos: a mi mujer, a los chiquitos y a mí, patrón, que entonces me hallaba enfermo.

Y todo me lo refirió al comenzar aquella noche, mientras las olas se cubrían de brumas y la ciudad encendía sus luces; él, en la piedra que le servía de asiento, después de apagar su negra pipa y de colocársela en la oreja, y de estirar y cruzar sus piernas flacas y musculosas, cubiertas por los sucios pantalones arremangados hasta el tobillo.

El muchacho era muy honrado y muy de trabajo. Se quiso ponerlo a la escuela desde grandecito; pero ¡los miserables no deben aprender a leer cuando se llora de hambre en el cuartucho.

El tío Lucas era casado, tenía muchos hijos.

Su mujer llevaba la maldición del vientre de los pobres: la fecundidad. Había, pues, mucha boca abierta que pedía pan, mucho chico sucio que se revolcaba en la basura, mucho cuerpo magro que temblaba de frío; era preciso ir a llevar qué comer, a buscar harapos, y para eso, quedar sin alientos y trabajar como un buey.

Cuando el hijo creció, ayudó al padre. Un vecino, el herrero, quiso enseñarle su industria; pero como entonces era tan débil, casi un armazón de huesos, y en el fuelle tenía que echar el bofe, se puso enfermo y volvió al conventillo. ¡Ah, estuvo muy enfermo! Pero no murió. ¡No murió! Y eso que vivía en uno de esos hacinamientos humanos, entre cuatro paredes destartaladas, viejas, feas, en la callejuela inmunda de las mujeres perdidas, hedionda a todas horas, alumbrada de noche por escasos faroles, y en donde resuenan en perpetua llamada a las zambras de echacorvería, las arpas y los acordeones, y en ruido de los marineros que llegan al burdel, desesperados con la

El fardo

Allá lejos, en la línea, como trazada por un lápiz azul, que separa las aguas y los cielos, se iba hundiendo el sol, con sus polvos de oro y sus torbellinos de chispas purpuradas, como un gran disco de hierro candente. Ya el muelle fiscal iba quedando en quietud; los guardias pasaban de un punto a otro, las gorras metidas hasta las cejas, dando aquí y allá sus vistazos. Inmóvil el enorme brazo de los pescantes, los jornaleros se encaminaban a las casas. El agua murmuraba debajo del muelle, y el húmedo viento salado, que sopla de mar afuera a la hora en que la noche sube, mantenía las lanchas cercanas en un continuo cabeceo.

Todos los lancheros se habían ido ya; solamente el viejo tío Lucas, que por la mañana se estropeara un pie al subir una barrica a un carretón, y que, aunque cojín cojeando, había trabajado todo el día, estaba sentado en una piedra y, con la pipa en la boca, veía triste el mar.

—¡Eh, tío Lucas! ¿Se descansa?

—Sí, pues, patroncito.

Y empezó la charla, esa charla agradable y suelta que me place entablar con los bravos hombres toscos que viven la vida del trabajo fortificante, la que da la buena salud y la fuerza del músculo, y se nutre con el grano del poroto y la sangre hirviente de la viña.

Yo veía con cariño a aquel viejo, y le oía con interés sus relaciones, así todas cortadas, todas como de hombre basto, pero de pecho ingenuo. ¡Ah, conque fue militar! ¡Conque de mozo fue soldado de Bulnes! ¡Conque todavía tuvo resistencia para ir con su rifle hasta Miraflores! Y es casado, y tuvo un hijo y...

Y aquí el tío Lucas:

—¡Sí, patrón, hace dos años que se me murió!

¡Nuestro poeta se decide a medir trapos! ¡Eh! ¡Una copa por Garcín!

Pálidos, asustados, entristecidos, al día siguiente, todos los parroquianos del Café Plombier que metíamos tanta bulla en aquel cuartucho destartalado, nos hallábamos en la habitación de Garcín. Él estaba en su lecho, sobre las sábanas ensangrentadas, con el cráneo roto de un balazo. Sobre la almohada había fragmentos de masa cerebral. ¡Qué horrible!

Cuando, repuestos de la primera impresión, pudimos llorar ante el cadáver de nuestro amigo, encontramos que tenía consigo el famoso poema. En la última página había escritas estas palabras: Hoy, en plena primavera, dejó abierta la puerta de la jaula al pobre pájaro azul.

* * *

¡Ay, Garcín, cuántos llevan en el cerebro tu misma enfermedad!

alegres y rosados. Cuando el pájaro quiere volar abre las alas y se da contra las paredes del cráneo, se alzan los ojos al cielo, se arruga la frente y se bebe ajenjo con poca agua, fumando además, por remate, un cigarrillo de papel.

He ahí el poema.

Una noche llegó Garcín riendo mucho y, sin embargo, muy triste.

* * *

La bella vecina había sido conducida al cementerio.

—¡Una noticia! ¡una noticia! Canto último de mi poema. Nini ha muerto. Viene la primavera y Nini se va. Ahorro de violetas para la campiña. Ahora falta el epílogo del poema.

Los editores no se dignan siquiera leer mis versos. Vosotros muy pronto tendréis que dispersaros. Ley del tiempo. El epílogo debe titularse así: "De cómo el pájaro azul alza el vuelo al cielo azul".

* * *

¡Plena primavera! Los árboles florecidos, las nubes rosadas en el alba y pálidas por la tarde; el aire suave que mueve las hojas y hace aletear las cintas de los sombreros de paja con especial ruido! Garcín no ha ido al campo.

Hele ahí, viene con traje nuevo, a nuestro amado Café Plombier, pálido, con una sonrisa triste.

—!Amigos míos, un abrazo! Abrazadme todos, así, fuerte; decidme adiós con todo el corazón, con toda el alma... El pájaro azul vuela.

Y el pobre Garcín lloró, nos estrechó, nos apretó las manos con todas sus fuerzas y se fue.

Todos dijimos: Garcín, el hijo pródigo, busca a su padre, el viejo normando. Musas, adiós; adiós, gracias.

Decididamente, el desgraciado Garcín estaba loco.

Un día recibió de su padre, un viejo provinciano de Normandía, comerciante en trapos, una carta que decía lo siguiente, poco más o menos:

"Sé tus locuras en París. Mientras permanezcas de ese modo, no tendrás de mí un solo sou. Ven a llevar los libros de mi almacén, y cuando hayas quemado, gandul, tus manuscritos de tonterías tendrás mi dinero."

Esta carta se leyó en el Café Plombier.

-¿Y te irás?

-¿No te irás?

-¿Aceptas?

-¿Desdeñas?

¡Bravo Garcín! Rompió la carta y soltando el trapo a la vena, improvisó unas cuantas estrofas, que acababan, si mal no recuerdo:

¡Sí, seré siempre un gandul,
lo cual aplaudo y celebro,
mientras sea mi cerebro
jaula del pájaro azul!

* * *

Desde entonces Garcín cambió de carácter. Se volvió charlador, se dio un baño de alegría, compró levita nueva, y comenzó un poema en tercetos titulados, pues es claro: El pájaro azul.

Cada noche se leía en nuestra tertulia algo nuevo de la obra. Aquello era excelente, sublime, disparatado.

Allí había un cielo muy hermoso, una campiña muy fresca, países brotados como por la magia del pincel de Corot, rostros de niños asomados entre flores; los ojos de Nini húmedos y grandes; y por añadidura, el buen Dios que envía volando, volando, sobre todo aquello, un pájaro azul que sin saber cómo ni cuando anida dentro del cerebro del poeta, en donde queda aprisionado. Cuando el pájaro canta, se hacen versos

Los versos eran para nosotros. Nosotros los leíamos y los aplaudíamos. Todos teníamos una alabanza para Garcín. Era un ingenuo que debía brillar. El tiempo vendría. Oh, el pájaro azul volaría muy alto. ¡Bravo! ¡bien!. ¡Eh, mozo, más ajenjo!

* * *

Principios de Garcín:

De las flores, las lindas campánulas.

Entre las piedras preciosas, el zafiro. De las inmensidades, el cielo y el amor: es decir, las pupilas de Nini.

Y repetía el poeta: Creo que siempre es preferible la neurosis a la imbecilidad.

* * *

A veces Garcín estaba más triste que de costumbre. Andaba por los bulevares; veía pasar indiferente los lujosos carruajes, los elegantes, las hermosas mujeres. Frente al escaparate de un joyero sonreía; pero cuando pasaba cerca de un almacén de libros, se llegaba a las vidrieras, husmeaba, y al ver las lujosas ediciones, se declaraba decididamente envidioso, arrugaba la frente; para desahogarse volvía el rostro hacia el cielo y suspiraba. Corría al café en busca de nosotros, conmovido, exaltado, casi llorando, pedía un vaso de ajenjo y nos decía:

—Sí, dentro de la jaula de mi cerebro está preso un pájaro azul que quiere su libertad...

* * *

Hubo algunos que llegaron a creer en un descalabro de razón.

Un alienista a quien se le dio noticias de lo que pasaba, calificó el caso como una monomanía especial. Sus estudios patológicos no dejaban lugar a duda.

El pájaro azul

París es teatro divertido y terrible. Entre los concurrentes al café Plombier, buenos y decididos muchachos —pintores, escultores, poetas— sí, ¡todos buscando el viejo laurel verde! ninguno más querido que aquel pobre Garcín, triste casi siempre, buen bebedor de ajenjo, soñador que nunca se emborrachaba, y, como bohemio intachable, bravo improvisador.

En el cuartucho destartalado de nuestras alegres reuniones, guardaba el yeso de las paredes, entre los esbozos y rasgos de futuros Clays, versos, estrofas enteras escritas en la letra echada y gruesa de nuestro amado pájaro azul.

El pájaro azul era el pobre Garcín. ¿No sabéis por qué se llamada así? Nosotros le bautizamos con ese nombre. Ello no fue un simple capricho. Aquel excelente muchacho tenía el vino triste. Cuando le preguntábamos por qué cuando todos reíamos como insensatos o como chicuelos, él arrugaba el ceño y miraba fijamente el cielo raso, nos respondía sonriendo con cierta amargura...

—Camaradas: habéis de saber que tengo un pájaro azul en el cerebro, por consiguiente...

* * *

Sucedía también que gustaba de ir a las campiñas nuevas, al entrar la primavera. El aire del bosque hacía bien a sus pulmones, según nos decía el poeta.

De sus excursiones solía traer ramos de violetas y gruesos cuadernillos de madrigales, escritos al ruido de las hojas y bajo el ancho cielo sin nubes. Las violetas eran para Nini, su vecina, una muchacha fresca y rosada que tenía los ojos muy azules.

De pronto huyó la visión, surgió la ninfa del estanque, semejante a Citerea en su onda, y recogiendo sus cabellos que goteaban brillantes, corrió por los rosales tras las lilas y violetas, más allá de los tupidos arbolares, hasta ocultarse a mi vista, hasta perderse, ¡ay!, por un recodo; y quedé yo, poeta lírico, fauno burlado, viendo a las grandes aves alabastrinas como mofándose de mí, tendiéndome sus largos cuellos en cuyo extremo brillaba bruñida el ágata de sus picos.

* * *

Después, almorzábamos juntos aquellos amigos de la noche pasada, entre todos, triunfante, con su pechera y su gran corbata oscura, el sabio obeso, futuro miembro del Instituto.

Y de repente, mientras todos charlaban de la última obra de Fremiet, en el salón, exclamó Lesbia con su alegre voz parisiense:

—¡Te!, como dice Tartarín: ¡el poeta ha visto ninfas!...

La contemplaron todos asombrados, y ella me miraba, me miraba como una gata, y se reía, se reía como una chicuela a quien se le hiciesen cosquillas.

—¡Y qué! —me dijo Lesbia, quemándome con sus ojos de faunaza y con voz callada como para que sólo yo la oyera—. ¡Las ninfas existen, tú las verás!

Era un día primaveral. Yo vagaba por el parque del castillo, con el aire de un soñador empedernido. Los gorriones chillaban sobre las lilas nuevas y atacaban a los escarabajos que se defendían de los picotazos con sus corazas de esmeralda, con sus petos de oro y acero. En las rosas el carmín, el bermellón, la onda penetrante de perfumes dulces: más allá las violetas, en grandes grupos, con su color apacible y su olor a virgen. Después, los altos árboles, los ramajes tupidos llenos de mil abejas, las estatuas en la penumbra, los discóbolos de bronce, los gladiadores musculosos en sus soberbias posturas gímnicas, las glorietas perfumadas, cubiertas de enredaderas, los pórticos, bellas imitaciones jónicas, cariátides todas blancas y lascivas, y vigorosos telamones del orden atlántico, con anchas espaldas y muslos gigantescos. Vagaba por el laberinto de tales encantos cuando oí un ruido, allá en lo oscuro de la arboleda, en el estanque donde hay cisnes blancos como cincelados en alabastro y otros que tienen la mitad del cuello del color del ébano, como una pierna alba con media negra.

Llegué más cerca. ¿Soñaba? ¡Oh, Numa! Yo sentí lo que tú, cuando viste en su gruta por primera vez a Egeria.

Estaba en el centro del estanque, entre la inquietud de los cisnes espantados, una ninfa, una verdadera ninfa, que hundía su carne de rosa en el agua cristalina. La cadera a flor de espuma parecía a veces como dorada por la luz opaca que alcanzaba a llegar por las brechas de las hojas. ¡Ah!, yo vi lirios, rosas, nieve, oro; vi un ideal con vida y forma y oí entre el burbujeo sonoro de la linfa herida, como una risa burlesca y armoniosa, que me encendía la sangre.

Siguió el sabio:

—Afirma San Jerónimo que en tiempos de Constantino Magno se condujo a Alejandría un sátiro vivo, siendo conservado su cuerpo cuando murió.

Además, vióle el emperador de Antioquia.

Lesbia había vuelto a llenar su copa de menta, y humedecía la lengua en el licor verde como lo haría un animal felino.

—Dice Alberto Magno que en su tiempo cogieron a dos sátiros en los montes de Sajonia. Enrico Zormano asegura que en tierras de Tartaria había hombres con sólo un pie y sólo un brazo en el pecho. Vicencio vio en su época un monstruo que trajeron al rey de Francia, tenía cabeza de perro —Lesbia reía— los muslos, brazos y manos tan sin vellos como los nuestros —Lesbia se agitaba como una chicuela a quien hiciesen cosquillas, comía carne cocida y bebía vino con todas ganas.

—¡Colombine! —gritó Lesbia. Y llegó Colombine, una falderilla que parecía un copo de algodón. Tomóla su ama, y entre las explosiones de risa de todos.

—¡Toma, el monstruo que tenía tu cara!

Y le dio un beso en la boca, mientras el animal se estremecía e inflaba las naricitas como lleno de voluptuosidad.

—Y Filegón Traliano —concluyó el sabio elegantemente— afirma la existencia de dos clases de hipocentauros: una de ellas como elefantes. Además...

—Basta de sabiduría —dijo Lesbia. Y acabó de beber la menta.

Yo estaba feliz. No había desplegado mis labios. —¡Oh!, exclamé para mí, ¡las ninfas! Yo desearía contemplar esas desnudases de los bosques y de las fuentes, aunque, como Acteón, fuese despedazado por los perros. Pero las ninfas no existen.

Concluyó aquel concierto alegre, con una gran fuga de risas y de personas.

dejaría robar por uno de esos monstruos robustos, sólo por oír las quejas del engañado, que tocaría su flauta lleno de tristeza.

El sabio interrumpió:

—¡Bien! Los sátiros y los faunos, los hipocentauros y las sirenas han existido, como las salamandras y el ave Fénix.

Todos reíamos; pero entre el coro de carcajadas, se oía irresistible, encantadora, la de Lesbia, cuyo rostro encendido, de mujer 55 rmosa, estaba como resplandeciente de placer.

* * *

—Sí —continuó el sabio—: ¿con qué derecho negamos los modernos, hechos que afirman los antiguos? El perro gigantesco que vio Alejandro, alto como un hombre, es tan real, como la araña Kreken que vive en el fondo de los mares. San Antonio Abad, de edad de noventa años, fue en busca del viejo ermitaño Pablo que vivía en una cueva. Lesbia, no te rías. Iba el santo por el yermo, apoyado en su báculo, sin saber dónde encontrar a quien buscaba. A mucho andar, ¿sabéis quién le dio las señas del camino que debía seguir?

Un centauro, medio hombre y medio caballo —dice un autor—; hablaba como enojado; huyó tan velozmente que presto le perdió de vista el santo; así iba galopando el monstruo, cabellos al aire y vientre a tierra.

En ese mismo viaje San Antonio vio un sátiro, «hombrecillo de extraña figura, estaba junto a un arroyuelo, tenía las narices corvas, frente áspera y arrugada, y la última parte de su contrahecho cuerpo remataba con pies de cabra».

—Ni más ni menos —dijo Lesbia—. ¡M. de Cocureau, futuro miembro del Instituto!

La ninfa

Cuento parisiense

En el castillo que últimamente acaba de adquirir Lesbia, esta actriz caprichosa y endiablada que tanto ha dado que decir al mundo por sus extravagancias, nos hallábamos a la mesa hasta seis amigos. Presidía nuestra Aspasia, quien a la sazón se entretenía en chupar como niña golosa un terrón de azúcar húmedo, blanco entre las yemas sonrosadas.

Era la hora del *chartreuse*. Se veía en los cristales de la mesa como una disolución de piedras preciosas, y la luz de los candelabros se descomponía en las copas medio vacías, donde quedaba algo de la púrpura del borgoña, del oro hirviente del champaña, de las líquidas esmeraldas de la menta.

Se hablaba con el entusiasmo de artista de buena pasta, tras una buena comida. Éramos todos artistas, quién más, quién menos, y aun había un sabio obeso que ostentaba en la albura de una pechera inmaculada el gran nudo de una corbata monstruosa

Alguien dijo: —¡Ah, sí, Fremiet! —Y de Fremiet se pasó a sus animales, a su cincel maestro, a dos perros de bronce que, cerca de nosotros, uno buscaba la pista de la pieza, otro, como mirando al cazador, alzaba el pescuezo y arbolaba la delgadez de su cola tiesa y erecta—. ¿Quién habló de Mirón? El sabio, que recitó en griego el epigrama de Anacreonte: Pastor, lleva a pastar más lejos tu boyada no sea que creyendo que respira la vaca de Mirón, la quieras llevar contigo.

Lesbia acabó de chupar su azúcar, y con una carcajada argentina:

—¡Bah! Para mí, los sátiros. Yo quisiera dar vida a mis bronces, y si esto fuese posible, mi amante sería uno de esos velludos semidioses. Os advierto que más que a los sátiros adoro a los centauros; y que me

Hermanos a hermanos hacían la guerra,
perdían los débiles, ganaban los malos,
hembra y macho eran como perro y perra,
y un buen día todos me dieron de palos.

Me vieron humilde, lamía las manos
y los pies. Seguía tus sagradas leyes,
todas las criaturas eran mis hermanos:
los hermanos hombres, los hermanos bueyes,
hermanas estrellas y hermanos gusanos.
Y así, me apalearon y me echaron fuera.
Y su risa fue como un agua hirviente,
y entre mis entrañas revivió la fiera,
y me sentí lobo malo de repente;
mas siempre mejor que esa mala gente.
Y recomencé a luchar aquí,
a me defender y a me alimentar.
Como el oso hace, como el jabalí,
que para vivir tienen que matar.
Déjame en el monte, déjame en el risco,
déjame existir en mi libertad,
vete a tu convento, hermano Francisco,
sigue tu camino y tu santidad».

El santo de Asís no le dijo nada.
Le miró con una profunda mirada,
y partió con lágrimas y con desconsuelos,
y habló al Dios eterno con su corazón.
El viento del bosque llevó su oración,
que era: «Padre nuestro, que estás en los cielos...»

Otra vez sintióse el temor, la alarma,
entre los vecinos y entre los pastores;
colmaba el espanto en los alrededores,
de nada servían el valor y el arma,
pues la bestia fiera
no dió treguas a su furor jamás,
como si estuviera
fuegos de Moloch y de Satanás.
Cuando volvió al pueblo el divino santo,
todos los buscaron con quejas y llanto,
y con mil querellas dieron testimonio
de lo que sufrían y perdían tanto
por aquel infame lobo del demonio.

Francisco de Asís se puso severo.
Se fue a la montaña
a buscar al falso lobo carnicero.
Y junto a su cueva halló a la alimaña.

«En nombre del Padre del sacro universo,
conjurote», dijo, «¡oh, lobo perverso!,
a que me respondas: ¿Por qué has vuelto al mal?
Contesta. Te escucho».

Como en sorda lucha, habló el animal,
la boca espumosa y el ojo fatal:

«Hermano Francisco, no te acerques mucho...
Yo estaba tranquilo allá en el convento;
al pueblo salía,
y si algo me daban estaba contento
y manso comía.
Mas empecé a ver que en todas las casas
estaban la Envidia, la Saña, la Ira,
y en todos los rostros ardían las brasas
de odio, de lujuria, de infamia y mentira.

Fueron a la aldea. La gente veía
y lo que miraba casi no creía.
Tras el religioso iba el lobo fiero,
y, bajo la testa, quieto le seguía
como un can de casa, o como un cordero.

Francisco llamó la gente a la plaza
y allí predicó.
Y dijo: «He aquí una amable caza.
El hermano lobo se viene conmigo;
me juró no ser ya vuestro enemigo,
y no repetir su ataque sangriento.
Vosotros, en cambio, daréis su alimento
a la pobre bestia de Dios». «¡Así sea!»,
contestó la gente toda de la aldea.
Y luego, en señal
de contentamiento,
movió la testa y cola el buen animal,
y entró con Francisco de Asís al convento.

Algún tiempo estuvo el lobo tranquilo
en el santo asilo.
Sus bastas orejas los salmos oían
y los claros ojos se le humedecían.
Aprendió mil gracias y hacía mil juegos
cuando a la cocina iba con los legos.
Y cuando Francisco su oración hacía,
el lobo las pobres sandalias lamía.
Salía a la calle,
iba por el monte, descendía al valle,
entraba a las casas y le daban algo
de comer. Mirábanle como a un manso galgo.

Un día, Francisco se ausentó. Y el lobo
dulce, el lobo manso y bueno, el lobo probo,
desapareció, tornó a la montaña,
y recomenzaron su aullido y su saña.

de los campesinos, el grito, el dolor
de tanta criatura de Nuestro Señor,
no han de contener tu encono infernal?
¿Vienes del infierno?
¿Te ha infundido acaso su rencor eterno
Luzbel o Belial?».

Y el gran lobo, humilde: «¡Es duro el invierno,
y es horrible el hambre! En el bosque helado
no hallé qué comer; y busqué el ganado,
y en veces comí ganado y pastor.
¿La sangre? Yo vi más de un cazador
sobre su caballo, llevando el azor
al puño; o correr tras el jabalí,
el oso o el ciervo; y a más de uno vi
mancharse de sangre, herir, torturar,
de las roncas trompas al sordo clamor,
a los animales de Nuestro Señor.
¡Y no era por hambre, que iban a cazar!».

Francisco responde: «En el hombre existe
mala levadura.
Cuando nace, viene con pecado. Es triste.
Mas el alma simple de la bestia es pura.
Tú vas a tener
desde hoy qué comer.
Dejarás en paz
rebaños y gente en este país.
¡Que Dios melifique tu ser montaraz!».

«Está bien, hermano Francisco de Asís».
«Ante el Señor, que toda ata y desata,
en fe de promesa tiéndeme la pata».
El lobo tendió la pata al hermano
de Asís, que a su vez le alargó la mano.

Los motivos del lobo

El varón que tiene corazón de lis,
alma de querube, lengua celestial,
el mínimo y dulce Francisco de Asís,
está con un rudo y torvo animal,
bestia temerosa, de sangre y de robo,
las fauces de furia, los ojos de mal:
¡el lobo de Gubbia, el terrible lobo!
Rabioso, ha asolado los alrededores;
cruel, ha deshecho todos los rebaños;
devoró corderos, devoró pastores,
y son incontables sus muertos y daños.

Fuertes cazadores armados de hierros
fueron destrozados. Los duros colmillos
dieron cuenta de los más bravos perros,
como de cabritos y de corderillos.

Francisco salió:
al lobo buscó
en su madriguera.
Cerca de la cueva encontró a la fiera
enorme, que al verle se lanzó feroz
contra él. Francisco, con su dulce voz,
alzando la mano,
al lobo furioso dijo: «¡Paz, hermano
lobo!» El animal
contempló al varón de tosco sayal;
dejó su aire arisco,
cerró las abiertas fauces agresivas,
y dijo: «!Está bien, hermano Francisco!».
«¡Cómo!», exclamó el santo. «¿Es ley que tú vivas
de horror y de muerte?
¿La sangre que vierte
tu hocico diabólico, el duelo y espanto
que esparces, el llanto

Allá lejos

Buey que vi en mi niñez echando vaho un día
bajo el nicaragüense sol de encendidos oros,
en la hacienda fecunda, plena de la armonía
del trópico; paloma de los bosques sonoros
del viento, de las hachas, de pájaros y toros
salvajes, yo os saludo, pues sois la vida mía.

Pesado buey, tú evocas la dulce madrugada
que llamaba a la ordeña de la vaca lechera,
cuando era mi existencia toda blanca y rosada,
y tú, paloma arrulladora y montañera,
significas en mi primavera pasada
todo lo que hay en la divina Primavera.

(Cantos de vida y esperanza, París, 1905)

¡Torres de Dios! ¡Poetas!

¡Torres de Dios! ¡Poetas!
¡Pararrayos celestes,
que resistís las duras tempestades,
como crestas escuetas,
como picos agrestes,
rompeolas de las eternidades!

La mágica esperanza anuncia un día
en que sobre la roca de armonía
expirará la pérfida sirena.
¡Esperad, esperemos todavía!
Esperad todavía.

El bestial elemento se solaza
en el odio a la sacra poesía
y se arroja baldón de raza a raza.
La insurrección de abajo
tiende a los Excelentes.

El caníbal codicia su tasajo
Con roja encía y afilados dientes.
Torres, poned al pabellón sonrisa.
Poned ante ese mal y ese recelo
una soberbia insinuación de brisa
y una tranquilidad de mar y cielo...

(Cantos de vida y esperanza, París, 1905)

La fuente

Joven, te ofrezco el don de esta copa de plata
para que un día puedas calmar la sed ardiente,
la sed que con su fuego más que la muerte mata.
Mas debes abrevarte tan sólo en una fuente.

Otra agua que la suya tendrá que serte ingrata;
busca su oculto origen en la gruta viviente
donde la interna música de su cristal desata,
junto al árbol que llora y la roca que siente.

Guíete el misterioso eco de su murmullo,
asciende por los riscos ásperos del orgullo,
baja por la constancia y desciende al abismo

cuya entrada sombría guardan siete panteras:
son los Siete Pecados, las siete bestias fieras.
Llena la copa y bebe: la fuente está en ti mismo.

(Prosas profanas, 1896)

De noche, en la montaña, en la negra montaña
de las Visiones, pase gigante sombra extraña,
sombra de un Sátiro espectral,
que ella al centauro adusto con su grandeza asuste;
de una extrahumana flauta la melodía ajuste
a la armonía sideral.

Y huya el tropel equino por la montaña vasta;
tu rostro de ultratumba bañe la luna casta
de compasiva y blanca luz;
y el Sátiro contemple, sobre un lejano monte,
una cruz que se eleve cubriendo el horizonte,
¡y un resplandor sobre la cruz!

(Prosas profanas, 1896)

Responso a Verlaine

Padre y maestro mágico, liróforo celeste
que al instrumento olímpico y a la siringa agreste
diste tu acento encantador;
¡Pánida! Pan tú mismo, que coros condujiste
hacia el propíleo sacro que amaba tu alma triste,
¡al son del sistro y del tambor!

Que tu sepulcro cubra de flores Primavera;
que se humedezca el áspero hocico de la fiera,
de amor, si pasa por allí;
que el fúnebre recinto visite Pan bicorne;
que de sangrientas rosas el fresco Abril te adorne,
y de claveles de rubí.

Que si posarse quiere sobre la tumba el cuervo,
ahuyente la negrura del pájaro protervo
el dulce canto de cristal
que Filomela vierta sobre sus tristes huesos,
o la armonía dulce de risas y de besos,
culto oculto y florestal.

Que púberes canéforas te ofrenden el encanto,
que sobre tu sepulcro no se derrame el llanto,
sino rocío, vino, miel;
que el pámpano allí brote, las flores de Cíteres,
y que se escuchen vagos suspiros de mujeres
¡bajo un simbólico laurel!

Que si un pastor pífano bajo el frescor del haya,
en amorosos días, como en Virgilio, ensaya,
tu nombre ponga en la canción;
y que la virgen náyade, cuando ese nombre escuche,
con ansias y temores entre las linfas luche,
llena de miedo y pasión.

contra las certezas, contra las conciencias
y contra las leyes y contra las ciencias,
contra la mentira, contra la verdad.

¡Ora por nosotros, señor de los tristes,
que de fuerzas alientas y de ensueños vistes,
coronado de áureo yelmo de ilusión;
que nadie ha podido vencer todavía,
por la adarga al brazo, toda fantasía,
y la lanza en ristre, toda corazón!

(Cantos de vida y esperanza, París, 1905)

¡Ruega por nosotros, hambrientos de vida,
con el alma a tientas, con la fe perdida,
llenos de congojas y faltos de sol;
por advenedizas almas de manga ancha,
que ridiculizan el ser de la Mancha,
el ser generoso y el ser español!

¡Ruega por nosotros, que necesitamos
las mágicas rosas, los sublimes ramos
de laurel! *Pro nobis ora*, gran señor.
(Tiemblan las florestas del laurel del mundo,
y antes que tu hermano vago, Segismundo,
el pálido Hamlet te ofrece una flor).
Ruega generoso, piadoso, orgulloso;
Ruega, casto, puro, celeste, animoso;
por nos intercede, suplica por nos,
pues casi ya estamos sin savia, sin brote,
sin alma, sin vida, sin luz, sin Quijote,
sin pies y sin alas, sin Sancho y sin Dios.

De tantas tristezas, de dolores tantos,
de los superhombres de Nietzsche, de cantos
áfonos, recetas que firma un doctor,
de las epidemias de horribles blasfemias
de las Academias,
¡líbranos, señor!

De rudos malsines,
falsos paladines
y espíritus finos y blando y ruines,
del hampa que sacia
su canallocracia
con burlar la gloria, la vida, el honor,
del puñal con gracia,
¡líbranos, señor!

Noble peregrino de los peregrinos,
que santificaste todos los caminos
con el paso augusto de tu heroicidad,

Letanías de Nuestro Señor don Quijote

A Navarro Ledesma

Rey de los hidalgos, señor de los tristes,
que de fuerzas alientas y de ensueños vistes,
coronado de áureo yelmo de ilusión;
que nadie ha podido vencer todavía,
por la adarga al brazo, toda fantasía,
y lanza en ristre, toda corazón.

Noble peregrino de los peregrinos,
que santificaste todos los caminos
con el paso augusto de tu heroicidad,
contra las certezas, contra las conciencias,
y contra las leyes y contra las ciencias,
contra la mentira, contra la verdad...

Caballero errante de los caballeros,
varón de varones, príncipe de fieros,
par entre los pares, maestro, ¡salud!
¡Salud, porque juzgo que hoy muy poca tienes,
entre los aplausos o entre los desdenes,
Y entre las coronas y los parabienes
y las tonterías de la multitud!

¡Tú, para quien pocas fueran las victorias
antiguas y para quien clásicas glorias
serían apenas de ley y razón,
soportas elogios, memorias, discursos,
resistes certámenes, tarjetas, concursos,
y, teniendo a Orfeo, tienes a orfeón!

Escucha, divino Rolando del sueño,
a un enamorado de tu Clavileño,
y cuyo Pegaso relincha hacia ti;
escucha los versos de estas letanías,
hechas con las cosas de todos los días
y con otras que lo misterioso vi.

En las constelaciones

En las constelaciones Pitágoras leía,
yo en las constelaciones pitagóricas leo,
pero se han confundido dentro del alma mía
el alma de Pitágoras con el alma de Orfeo.

Sé que soy, desde el tiempo del Paraíso, reo;
sé que he robado el fuego y robé la armonía;
que es abismo mi alma y huracán mi deseo;
que sorbo el infinito y quiero todavía...

Pero ¿qué voy a hacer, si estoy atado al potro
en que, ganado el premio, siempre quiero ser otro,
y en que, dos en mí mismo, triunfa uno de los dos?

En la arena me enseña la tortuga de oro
hacia dónde conduce de las musas el coro
y en dónde triunfa, augusta, la voluntad de Dios.

(Obra dispersa, 1908)

Lo fatal

Dichoso el árbol, que es apenas sensitivo,
y más la piedra dura porque ésta ya no siente,
pues no hay dolor más grande que el dolor de ser vivo
ni mayor pesadumbre que la vida consciente.

Ser, y no saber nada, y ser sin rumbo cierto,
Y el temor de haber sido y un futuro terror...
¡Y el espanto seguro de estar mañana muerto,
y sufrir por la vida y por la sombra y por

lo que no conocemos y apenas sospechamos,
y la carne que tienta con sus frescos racimos,
y la tumba que aguarda con sus fúnebres ramos
y no saber adónde vamos,
ni de dónde venimos...!

(Cantos de vida y esperanza, París, 1905)

Tal ha rugido el jefe. Tekij grita a la gente:
—«¡Puesto que el tigre muestra las garras, sea, pues!».
Y, como la tormenta, los clamores humanos,
sobre cabezas ásperas, sobre crispadas manos,
se calman un instante para tornar después.

—«¡Flecheros, al combate!», clama el fuerte cacique,
y cual si no existiese quien el ataque indique,
se quedaron los flecheros inmóviles, sin voz.
—«¡Flecheros, muerte al tigre!», responde un indio fiero.
Tejik alza los brazos y quédase el flechero
deteniendo el empuje de la flecha veloz:

Y Tekij: —«¡Es indigno de la flecha o la lanza!
¡La tierra se estremece para clamar venganza!
¡A las piedras, pipiles!
Cuando el grito feroz
de los castigadores calló y el jefe odiado
en sanguinoso fango quedó despedazado,
vióse pasar un hombre cantando en alta voz
un canto mexicano. Cantaba cielo y tierra,
alababa a los dioses, maldecía la guerra.
Llamáronle: —«¿Tú cantas paz y trabajo?» —«Sí».
—«Toma el palacio, campo, carcajes y huipiles;
celebra a nuestros dioses, dirige a los pipiles».

Y así empezó el reinado de Tutecotzimí.

(El canto errante, 1907)

que tuvo, como tienen los dioses, en la mano
la flecha que en el trueno relampaguear se ve.
Él quiso ser pacífico y engrandecer un día
su reino. Eso era justo. Y en Guatemala había
tierra fecunda y virgen, montañas que poblar.
Mandó Ahuitzol cinco hombres a conquistar la tierra,
sin lanzas, sin escudos y sin carcaj de guerra,
sin fuerzas poderosa ni pompa militar.

Eran cinco pipiles; eran los Padres nuestros;
eran cultivadores, agricultores, diestros
en prácticas pacíficas; sembraban el añil,
cocían argamasas, vendían pieles y aves;
así fundaron, rústicos, espléndidos y suaves,
los prístinos cimientos del pueblo pipil.

Pipil, es decir, niño: Eso es ingenuo y franco
Vino un anciano entre ellos con el cabello blanco,
y a ése miraban todos como una majestad.
Vino un mancebo hermoso que abría al monte brechas,
que lanzaba a las águilas sus voladoras flechas,
y que cantaba alegre bajo la tempestad.

El Rey murió; la muerte es reina de los reyes.
Nuestros padres formaron nuestras sagradas leyes;
hablaron con los dioses en lengua de verdad.
Y un día, en la floresta, Votán dijo a un anciano
que él no bebía sangre del sacrificio humano,
que sangre es chicha roja para Tamagastad.

Por eso los pipiles jamás se la ofrecimos.
Del plátano fragante cortamos los racimos
para ofrecérselos al dios sagrado y fiel.
La sangre de las bestias el cuchillo derrame;
mas sangre de pipiles; ¡oh, Cuaucmichín infame,
ayer has ofrecido en holocausto cruel!

—«¡Yo soy el sacerdote cacique y combatiente!».

que en su pupila tiene la luz de la visión.
Lleva colgado al cuello un quetzalcoatl de oro;
Lleva, en los pies, velludos caites de piel de toro;
y alza la frente, altivo, como un joven león.

Del palacio en la puerta vese erguido el cacique.
Tekij alza sus brazos. Su gesto como un dique,
contiene el gran torrente de agitación y voz.
Cuaucmichín, orgulloso, se apoya en su arco elástico,
y teniendo en sus labios como un rictus sarcástico,
pone en sus paradas cejas una curva feroz...

Curva de donde lanza cual flecha su mirada
sobre las mil cabezas de la turba apiñada;
curva, como la curva del arco de Huracán.
Y Tekij habla al príncipe que le escucha impasible:
y lleva el aire tórrido de la palabra terrible,
como el divino trueno de la ira de un Titán.

—Cuaucmichín, la montaña te habla en mi lengua, ahora.

La tierra está enojada, la raza pilpil llora,
y tu náhuatl maldice, serpiente-tacuazín.
Eres cobarde, fiera que reina en el ganado.
¿Por qué de los pipiles la sangre has derramado
como tigre del monte, Cuaucmichín, Cuaucmichín?

¡Cuaucmichín! El octavo rey de los mexicanos
era grande. Si abría los dedos de sus manos,
más de un millón de flechas obscurecía el sol.
Era de oro macizo su silla y su consejo.
Tenía en mucho al sabio; pedía juicio al viejo;
su maza era pesada; llamábase Ahuitzol.

Quelenes, zapotecas, tendales, katchikeles,
los mames que se adornan con ópalos y pieles,
los jefes aguerridos del bélico Kiché,
temían los embates del fuerte mexicano

El gran cacique deja los bosques de esmeralda;
camina a su palacio, el carcaj a la espalda,
carcaj dorado y fino que brilla al rubio sol.
Tras él van los flecheros; y en hombros de los siervos,
ensangrentando el suelo, los montaraces ciervos
que hirió la caña elástica del firme huiscoyol.

Camina. Llega al regio palacio el jefe noble.
De las cuadradas puertas en el quicio de roble,
de Ozotskij, su tierna hija, ve el flamante huepil.
Súbito se oye un sordo rumor de voz profunda.
¿Es la onda del Motagua que la ciudad inunda?
No, cacique; ese ruido es del pueblo pipil.

Como torrente humano que ruge y se desborda,
con un clamor terrible que la ciudad asorda,
hacia el palacio vienen los hijos de Ahuitzol.
Primero, revestidos de cien plumajes varios,
los altos sacerdotes, los ricos dignatarios,
que llevan con orgullo sus mantos tornasol.

Después van los guerreros, los de brazos membrudos,
los que metal y cuerno tienen en sus escudos,
soldados de Sakulen, soldados de Nebaj;
por último, zahareños, cobrizos y salvajes,
el cuerpo rudo y rojo de míticos tatuajes,
Ixiles de la sierra, con arcos y carcaj.

Como a la roca el río, circundan el palacio.
Sus voces redobladas se elevan al espacio
como voz de montaña y voz de tempestad:
hay jóvenes robustos de fieros aires regios,
ancianos centenarios que saben sortilegios,
brujos que invocar osan al gran Tamagastad.

Y a la cabeza marcha con noble continente
Tekij, que es el poeta litúrgico y valiente,

y vese, al sol que se alza del florestal sonoro,
que en la diadema tiembla la pluma de un quetzal.

Es la mañana mágica del encendido trópico.
Como una gran serpiente camina el río hidrópico,
en cuyas aguas glaucas las hojas secas van.
el lienzo cristalino sopló sutil arruga,
el combo carpacho que arrastra la tortuga,
o la crestada cola de hierro del caimán.

Junto al verdoso charco, sobre las piedras toscas,
rubí, cristal, zafiro, las susurrantes moscas
del vaho de la tierra pasan cribando el tul;
e intacta con su veste de terciopelo rico,
abanicando el lodo con su doble abanico,
está como extasiada la mariposa azul.

Las selvas foscas vibran con el calor del día;
al viento el pavo negro su grito agudo fía,
y el grillo aturde el verde, tupido carrizal;
un pájaro del bosque remeda un són de cuerno;
prolonga la cigarra su chincharchar eterno,
y el grito de su pito repite el pito-real.

Los altos aguacates invade ágil la ardilla,
su cola es un plumero, su ojo pequeño brilla,
sus dientes llueven fruta del árbol productor;
y con su vuelo rápido que espanta el avispero,
pasa el bribón y oscuro sanate-clarinero
llamando al compañero con áspero clamor.

Su vasto aliento lanzan los bosques primitivos,
vuelan al menor ruido los quetzales esquivos,
sobre la aristoloquia revuela el colibrí;
y junto a la parásita lujosa está la iguana,
como hija misteriosa de la montaña indiana
que anima el teutl oculto del sacro teocalí.

Tutecotzimí

Al cavar en el suelo de la ciudad antigua,
la metálica punta de la piqueta choca
con una joya de oro, una labrada roca,
una flecha, un fetiche, un dios de forma ambigua,
o los muros enormes de un templo. Mi piqueta
trabaja en el terreno de la América ignota.

—¡Suene armoniosa mi piqueta de poeta!
¡Y descubra oro y ópalos y rica piedra fina,
templo, o estatua rota!
Y el misterio jeroglífico adivina
la Musa.
De la temporal bruma surge la vida extraña
de pueblos abolidos; la leyenda confusa
se ilumina; revela secretos la montaña
en que se alza la ruina.

Los centenarios árboles saben de procesiones,
de luchas y de ritos inmemoriales. Canta
un cenzontle: ¿Qué canta? ¿Un canto nunca oído?
El pájaro en un ídolo ha fabricado el nido.
(Ese canto escucharon las mujeres toltecas
y deleitó al soberbio príncipe Moctezuma).

Mientras el puma hace crujir las hojas secas
el quetzal muestra al iris la gloria de su pluma
y los dioses animan de la fuente el acento.
Al caer de la tarde un poniente sangriento
tiende su palio bárbaro, y de una rara lira
lleva la lengua musical el vago viento.

Y Netzahualcoyotl, el poeta, suspira.
Cuaucmichín, el cacique sacerdotal y noble,
viene de caza. Síguele fila apretada y doble
de sus flecheros ágiles. Su aire es bravo y triunfal.
Sobre su frente lleva bruñido cerco de oro;

pones pasión donde no puede haber.
Seguramente Dios te ha conducido
para regar el árbol de mi fe;
hacia la fuente de noche y de olvido,
Francisca Sánchez, acompáñame...

(Obra dispersa, 1914)

A Francisca

(Fragmento)

Francisca, sé suave,
es tu dulce deber;
sé para mí un ave
que fuera una mujer.

Francisca, sé una flor
y mi vida perfuma,
hecha toda de amor
y de dolor y espuma.

Francisca, sé un ungüento
como mi pensamiento;
Francisca, sé una flor
cual mi sutil amor;
Francisca, sé mujer,
como se debe ser...

Saber amar y sentir
y admirar como rezar...
Y la ciencia del vivir
Y la virtud de esperar.
Ajena al dolo y al sentir artero
llena de la ilusión que da la fe,
lazarillo de Dios en mi sendero,
Francisca Sánchez, acompáñame...

En mi pensar de duelo y de martirio
casi inconsciente me pusiste miel,
multiplicaste pétalos de lirio
y refrescaste la hoja de laurel.

Ser cuidadosa del dolor supiste
y elevarte al amor sin comprender;
enciendes la luz en las horas del triste,

Mas la América nuestra, que tenía poetas
desde los viejos tiempos de Netzahualcoyotl,
que ha guardado las huellas de los pies del gran Baco,
que el alfabeto pánico en un tiempo aprendió;
que consultó los astros, que conoció la Atlántida,
cuyo nombre nos llega resonando en Platón,
que desde los remotos momentos de su vida
vive de luz, de fuego, de perfume, de amor,
la América del gran Moctezuma, del Inca,
la América fragante de Cristóbal Colón,
la América católica, la América española,
la América en que dijo el noble Guatemoc:
«Yo no estoy en un lecho de rosas»; esa América
que tiembla de huracanes y que vive de Amor,
hombres de ojos sajones y alma bárbara, vive.
Y sueña. Y ama, y vibra; y es hija del Sol.
Tened cuidado. ¡Vive la América española!
Hay mil cachorros sueltos del León Español.
Se necesitaría, Roosevelt, ser Dios mismo,
el Riflero terrible y el fuerte Cazador,
para poder tenernos en vuestras férreas garras.

Y, pues contáis con todo, falta una cosa: ¡Dios!

(Cantos de vida y esperanza, París, 1905)

A Roosevelt

¡Es con voz de la Biblia, o verso de Walt Whitman,
que habría que llegar hasta ti, Cazador!
Primitivo y moderno, sencillo y complicado,
con un algo de Washington y cuatro de Nemrod.
Eres los Estados Unidos,
eres el futuro invasor
de la América ingenua que tiene sangre indígena,
que aún reza a Jesucristo y aún habla en español.

Eres soberbio y fuerte ejemplar de tu raza;
eres culto, eres hábil; te opones a Tolstoy.
Y domando caballos, o asesinando tigres,
eres un Alejandro-Nabucodonosor.
(Eres un profesor de energía,
Como dicen los locos de hoy).
Crees que la vida es incendio,
que el progreso es erupción;
en donde pones la bala
el porvenir pones.
No.

Los Estados Unidos son potentes y grandes.
Cuando ellos se estremecen hay un hondo temblor
que pasa por las vértebras enormes de los Andes.
Si clamáis, se oye como el rugir del león.
Ya Hugo a Grant le dijo: «Las estrellas son vuestras».
(Apenas brilla, alzándose, el argentino sol
y la estrella chilena se levanta...) Sois ricos.
Juntáis al culto de Hércules el culto de Mammón;
y alumbrando el camino de la fácil conquista,
la Libertad levanta su antorcha en Nueva York.

un grito; que estaba allí
entre la caja guardada,
lívida y ensangrentada
la cabeza del rawí.

En medio de su locura
y en lo horrible de su suerte,
avariciosa de muerte
ponzoñoso filtro apura.
Fue el Rey donde la hermosura
y estaba allí la beldad
fría y siniestra, en verdad
medio desnuda y ya muerta,
besando la horrible y yerta
cabeza de Balzarad.

El Rey se puso a pensar
en lo que la pasión es,
y poco tiempo después
el Rey se volvió a enfermar.

(Epístolas y poemas, 1884)

guzla dúlcida que encanta
cuando canta Balzarad.
Viole un día la beldad
y oyó cantar al rawí;
de sus labios de rubí
brotó un suspiro temblante...
y Balzarad fue el amante
de la celestial hurí.

Por eso es que triste se halla
siendo del monarca esposa
y el tiempo pasa quejosa
en una interior batalla.
Del Rey la cólera estalla
y así le dice una vez:
—Mujer llena de doblez:
dí si amas a otro, falaz—.
Y entonces de ella en la faz
surgió vaga palidez.

—Sí, —le dijo—, es la verdad;
de mi destino es la ley:
yo no puedo amarte, ¡oh, Rey!
porque adoro a Balzarad—.
El Rey, en la intensidad
de su ira, entonces, calló;
mudo, la espalda volvió;
mas se vía en su mirada
del odio la llamarada,
la venganza en que pensó.

Al otro día la hermosa
de parte de él recibió
una caja en que la envió
de filigrana preciosa;
abriola presto curiosa
y lanzó, fuera de sí,

y las siervas de Circasia
con las esclavas de Nubia.

Unas bellas, adornadas
con diademas en las frentes,
con riquísimos pendientes
y valiosas arracadas;
otras con telas preciadas
cubriendo su morbidez;
y otras de marmórea tez,
bajas las frentes, y mudas,
completamente desnudas
en toda su esplendidez.

En tan preciada revista,
ve el Rey una linda persa
de ojos bellos y piel tersa,
que al verle baja la vista;
el alma del Rey conquista
con su semblante la hermosa;
y agitada y ruborosa
tiembla llena de temor
cuando el altivo Señor
le dice: —Serás mi esposa.

Así fue. La joven bella
de tez blanca y negros ojos,
colmó los reales antojos
y el Rey se casó con ella.
¿Feliz, dirás, tal estrella,
Emelina? No fue así:
no es feliz la Reina allí,
la linda persa agraciada,
porque ella está enamorada
de Balzarad el rawí.

Balzarad tiene en verdad
una guzla en la garganta,

los sabios de su nación;
cada cual dio su opinión,
y sin hallar la verdad
en medio de su ansiedad,
acordaron en consejo
llamar con presura a un viejo
astrólogo de Bagdad.

Emprendió viaje el anciano;
llegó miró las estrellas;
supo conocer en ellas
la cuita del soberano;
y adivinando el arcano
como viejo sabidor,
entre el inmenso estupor
de la cortesana grey,
le dijo al monarca: —¡Oh, Rey!
Te estás muriendo de amor.

Luego, el altivo monarca,
con órdenes imperiosas
llama a todas las hermosas
mujeres de la comarca
que su poderío abarca;
y ante el viejo de Bagdad,
escoge su voluntad
de tanta hermosura en medio,
la que deba ser remedio
que cure su enfermedad.

Allí ojos negros y vivos;
bocas de morir al verlas,
con unos hilos de perlas
en rojo coral cautivos;
allí rostros expresivos,
allí como una áurea lluvia
una cabellera rubia;
allí el ardor y la gracia,

La cabeza del Rawí oriental

¿Cuentos quieres, niña bella?
tengo muchos de contar:
de una sirena del mar,
de un ruiseñor y una estrella,
de una cándida doncella
que robó su encantador,
de un gallardo trovador
y de una odalisca mora,
con sus perlas de Bassora
y sus chales de Lahor.

Cuentos dulces, cuentos bravos,
de damas y caballeros,
de cantores y guerreros,
de señores y de esclavos;
de bosques escandinavos
y alcázares de cristal;
cuentos de dicha inmortal,
divinos cuentos de amores
que reviste de colores
la fantasía oriental.

Dime tú ¿de cuáles quieres?
dicen gentes muy formales
que los cuentos orientales
les gustan a las mujeres;
así, pues, si esos prefieres
verás colmado tu afán,
pues sé un cuento musulmán
que sobre un amante versa,
y me lo ha contado un persa
que ha venido de Hispahán.

Enfermo del corazón
un gran monarca de Oriente,
congregó inmediatamente

Con estafetas y con malas,
va el cantor por la humanidad.

El canto vuela, con sus alas:
Armonía y Eternidad.

(El canto errante, 1907)

El canto errante

El cantor va por todo el mundo
sonriente o meditabundo.

El cantor va sobre la tierra
en blanca paz o en roja guerra.
Sobre el lomo del elefante
por la enorme India alucinante.

En palanquín y en seda fina
por el corazón de la China;

en automóvil en Lutecia;
en negra góndola en Venecia;

en sobre las pampas y los llanos
en los potros americanos;

por el río va en la canoa,
o se le ve sobre la proa

de un *steamer* sobre el vasto mar,
o en un vagón de *sleeping-car*.

El dromedario del desierto,
barco vivo, le lleva a un puerto.

Sobre el raudo trineo trepa
en la blancura de la estepa.

O en el silencio del cristal
que ama la aurora boreal.

El cantor va a pie por los prados,
entre las siembras y los ganados.

Y entra en su Londres en el tren,
y en asno a su Jerusalén.

Metempsicosis

Yo fui un soldado que durmió en el lecho
de Cleopatra la reina. Su blancura
Y su mirada astral y omnipotente.
Eso fue todo.
¡Oh mirada! ¡Oh blancura y oh aquel lecho
en que estaba radiante la blancura!
¡Oh la rosa marmórea omnipotente!
Eso fue todo.
Y crujió su espinazo por mi brazo;
y yo, liberto, hice olvidar a Antonio.
(¡Oh el lecho y la mirada y la blancura!)
Eso fue todo.
Yo, Rufo Galo, fui soldado y sangre
tuve de Galia, y la imperial becerra
me dio un minuto audaz de su capricho.
Eso fue todo.
¿Por qué en aquel espasmo las tenazas
de mis dedos de bronce no apretaron
el cuello de la blanca reina en broma?
Eso fue todo.
Yo fui llevado a Egipto. La cadena
tuve al pescuezo. Fui comido un día
por los perros. Mi nombre, Rufo Galo.
Eso fue todo.

(El canto errante, 1907)

Nocturno

Quiero expresar mi angustia en versos que abolida
dirán mi juventud de rosas y ensueños,
y la desfloración amarga de mi vida
por un vasto dolor y cuidados pequeños.

Y el viaje a un vago Oriente por entrevistos barcos,
y el grano de oraciones que floreció en blasfemia,
y los azoramientos del cisne entre los charcos,
y el falso azul nocturno de inquirida bohemia.

Lejano clavicordio que en silencio y olvido
no diste nunca al sueño la sublime sonata,
huérfano esquife, árbol insigne, oscuro nido
que suavizó la noche de dulzura de plata...

Esperanza olorosa a hierbas frescas, trino
del ruiseñor primaveral y matinal,
azucena tronchada por un fatal destino,
rebusca de la dicha, persecución del mal...

El ánfora funesta del divino veneno
que ha de hacer por la vida la tortura interior,
la conciencia espantable de nuestro humano cieno
y el horror de sentirse pasajero, el horror

de ir a tientas, en intermitentes espantos,
hacia lo inevitable, desconocido, y la
pesadilla brutal de este dormir de llantos
¡de la cual no hay más que Ella que nos despertará!

(Cantos de vida y esperanza, París, 1905)

Los tres Reyes Magos

—Yo soy Gaspar. Aquí traigo el incienso.
Vengo a decir: La vida es pura y bella.
Existe Dios. El amor es inmenso.
¡Todo lo sé por la divina Estrella!

—Yo soy Melchor. Mi mirra aroma todo.
Existe Dios. Él es la luz del día.
¡La blanca flor tiene sus pies en lodo
y en el placer hay la melancolía!

—Soy Baltasar. Traigo el oro. Aseguro
que existe Dios. Él es el grande y fuerte.
Todo lo sé por el lucero puro
que brilla en la diadema de la Muerte.

—Gaspar, Melchor y Baltasar, callaos.
Triunfa el amor, ya su fiesta os convida.
¡Cristo resurge, hace la luz del caos
y tiene la corona de la Vida!

Venus

En la tranquila noche, mis nostalgias amargas sufría.
En busca de quietud bajé al fresco y callado jardín.
En el oscuro cielo Venus bella temblando lucía,
como incrustado en ébano un dorado y divino jazmín.

A mi alma enamorada, una reina oriental parecía,
que esperaba a su amante bajo el techo de su camarín,
o que, llevada en hombros, la profunda extensión recorría,
triunfante y luminosa, recostada sobre un palanquín.

«¡Oh, reina rubia!, déjele, mi alma quiere dejar su crisálida,
y volar hacia ti, y tus labios de fuego besar,
y flotar en el nimbo que derrama en tu frente luz pálida,

y en siderales éxtasis no dejarte un momento de amar».
El aire de la noche refrescaba el atmósfera cálida.
Venus, desde el abismo, me miraba con triste mirar.

(Azul, Chile, 1888*)*

Walt Whitman

En su país de hierro vive el gran viejo,
bello como un patriarca, sereno y santo.
Tiene en la arruga olímpica de su entrecejo
algo que impera y vence con noble encanto.

Su alma del infinito parece espejo;
son sus cansados hombros dignos del manto;
y con arpa labrada de un roble añejo,
como un profeta nuevo canta su canto.

Sacerdote que alienta soplo divino,
anuncia, en el futuro, tiempo mejor.
Dice el águila: «¡Vuela!»; «¡Boga!», al marino,

y «¡Trabaja!», al robusto trabajador.
¡Así va ese poeta por su camino,
con su soberbio rostro de emperador!

(Azul, Chile, 1888)

A Phocas el campesino

Phocás el campesino, hijo mío, que tienes
en apenas escasos meses de vida, tantos
dolores en tus ojos que esperan tantos llantos
por el fatal pensar que revelan tus sienes...

Tarda en venir a este dolor a donde vienes,
a este mundo terrible en duelos y en espantos,
duerme bajo los Ángeles, sueña bajo los Santos,
que ya tendrás la Vida para que te envenenes...

Sueña, hijo mío, todavía, y cuando crezcas,
perdóname el fatal don de darte la vida
que yo hubiera querido de azul y rosas frescas;

pues tú eres la crisálida de mi alma entristecida,
y te he de ver en medio del triunfo que merezcas
renovando el fulgor de mi psique abolida.

(Cantos de vida y esperanza, París, 1905)

Por eso ser sincero es ser potente:
de desnuda que está, brilla la estrella;
el agua dice el alma de la fuente
en la voz de cristal que fluye de ella.

Tal fue mi intento, hacer del alma pura
mía, una estrella, una fuente sonora,
con el horror de la literatura
y loco de crepúsculo y de aurora.

Del crepúsculo azul que da la pauta
que los celestes éxtasis inspira;
bruma y tono menor —¡toda la flauta!,
y Aurora, hija del Sol— ¡toda la lira!

Pasó una piedra que lanzó una honda;
pasó una flecha que aguzó un violento.
La piedra de la honda fue a la onda,
y la flecha del odio fuese al viento.

La virtud está en ser tranquilo y fuerte;
con el fuego interior todo se abrasa;
se triunfa del rencor y de la muerte,
y hacia Belén... ¡la caravana pasa!

(Cantos de vida y esperanza, París, 1905)

Mi intelecto libré de pensar bajo,
bañó el agua castalia el alma mía,
peregrinó mi corazón y trajo
de la sagrada selva la armonía.

¡Oh la selva sagrada! ¡Oh la profunda
emanación del corazón divino
de la sagrada selva! ¡Oh la fecunda
fuente cuya virtud vence al destino!

Bosque ideal que lo real complica,
allí el cuerpo arde y vive y Psiquis vuela;
mientras abajo el sátiro fornica,
ebria de azul deslíe Filomela,

perla de ensueño y música amorosa
en la cúpula en flor del laurel verde,
Hipsipila sutil liba en la rosa,
y la boca del fauno el pezón muerde.

Allí va el dios en celo tras la hembra
y la caña de Pan se alza de lodo;
la eterna vida sus semillas siembra,
y brota la armonía del gran Todo.

El alma que entra allí debe ir desnuda,
temblando de deseo y fiebre santa,
sobre cardo heridor y espina aguda:
así sueña, así vibra y así canta.

Vida, luz y verdad, tal triple llama
produce la interior llama infinita.
El Arte puro como Cristo exclama:
¡Ego sum lux et veritas et vita!

Y la vida es misterio, la luz ciega
y la verdad inaccesible asombra;
la adusta perfección jamás se entrega,
y el secreto ideal duerme en la sombra.

Hora de ocaso y de discreto beso;
hora crepuscular y de retiro;
hora de madrigal y de embeleso,
de «te adoro», de «¡ay!» y de suspiro.

Y entonces era en la dulzaina un juego
de misteriosas gamas cristalinas,
un renovar de notas del Pan griego
y un desgranar de músicas latinas,

con aire tal y con ardor tan vivo,
que a la estatua nacían de repente
en el muslo viril patas de chivo
y dos cuernos de sátiro en la frente.

Como la Galatea gongorina
me encantó la marquesa verleniana,
y así juntaba a la pasión divina
una sensual hiperestesia humana;

todo ansia, todo ardor, sensación pura
y vigor natural; y sin falsía,
y sin comedia y sin literatura...
si hay un alma sincera, ésa es la mía.

La torre de marfil tentó mi anhelo;
quise encerrarme dentro de mí mismo,
y tuve hambre de espacio y sed de cielo
desde las sombras de mi propio abismo.

Como la esponja que la sal satura
en el jugo del mar, fue el dulce y tierno
corazón mío, henchido de amargura
por el mundo, la carne y el infierno.

Mas, por gracia de Dios, en mi conciencia
el Bien supo elegir la mejor parte;
y si hubo áspera hiel en mi existencia,
melificó toda acritud el Arte.

Yo soy aquel...

A José Enrique Rodó

Yo soy aquel que ayer no más decía
el verso azul y la canción profana,
en cuya noche un ruiseñor había
que era alondra de luz por la mañana.

El dueño fui de mi jardín de sueño,
lleno de rosas y de cisnes vagos;
el dueño de las tórtolas, el dueño
de góndolas y liras en los lagos;

y muy siglo diez y ocho y muy antiguo
y muy moderno; audaz, cosmopolita;
con Hugo fuerte y con Verlaine ambiguo,
y una sed de ilusiones infinita.

Yo supe de dolor desde mi infancia,
Mi juventud... ¿fue juventud la mía?,
sus rosas aún me dejan su fragancia,
una fragancia de melancolía...

Potro sin freno se lanzó mi instinto,
mi juventud montó potro sin freno;
iba embriagada y con puñal al cinto;
si no cayó, fue porque Dios es bueno.

En mi jardín se vio una estatua bella;
se juzgó mármol y era carne viva;
una alma joven habitaba en ella,
sentimental, sensible, sensitiva.

Y tímida ante el mundo, de manera
que encerrada, en silencio, no salía
sino cuando en la dulce primavera
era la hora de la melodía...

Caupolicán

Es algo formidable que vio la vieja raza:
robusto tronco de árbol al hombro de un campeón
salvaje y aguerrido, cuya fornida maza
blandiera el brazo de Hércules, o el brazo de Sansón.

Por cascos sus cabellos, su pecho por coraza,
pudiera tal guerrero, de Arauco en la región,
lancero de los bosques, Nemrod que todo caza,
desjarretar un toro, o estrangular un león.

Anduvo, anduvo, anduvo. Le vio la luz del día,
le vio la tarde pálida, le vio la noche fría,
y siempre el tronco de árbol a cuestas del titán.

«¡El Toqui, el Toqui!» clama la conmovida casta.
Anduvo, anduvo, anduvo. La aurora dijo: «Basta»
e irguiese la alta frente del gran Caupolicán.

(Azul, Chile, 1888)

y de mi mente mueven la cimera encendida
Huracán y Aquilón!
Tu voz un día Cristóforo Colombo;
Hugo cantó tu gesta legendaria. Los dos
fueron, como tú, enormes, Momotombo,
montañas habitadas por el fuego de Dios.

¡Hacia el misterio caen poetas y montañas;
y rompecabezas el cielo de cristal
cuando luchen sonando de Pan las siete cañas
y la trompeta del Juicio Final!

(El canto errante, 1907)

a sus pies el divino lago de Managua,
con islas todas luz y canción.
¡Momotombo! —exclamé—. ¡Oh, nombre de epopeya!
Con razón Hugo el grande en tu onomatopeya
ritmo escuchó que es de eternidad.
Dijérase que fueses para la sombras dique,
desde que oyera el blanco la lengua del cacique
en sus discursos de libertad.

Padre del fuego y piedra, yo te pedí ese día
tu secreto de llamas, tu arcano de armonía,
la iniciación que podías dar;
por ti pensé en lo inmenso de Osas y Peliones,
en que arriba hay titanes en las constelaciones
y abajo dentro la tierra y el mar.

¡Oh, Momotombo ronco y sonoro! Te amo
porque a tu evocación vienen a mí otra vez,
obedeciendo a un íntimo reclamo,
perfumes de mi infancia, brisas de mi niñez.

¡Los estandartes de la tarde y de la aurora!
Nunca los vi más bellos que alzados sobre ti,
toda zafir la cúpula sonora
sobre los triunfos de oro, de esmeralda y rubí.

Cuando las babilonias del Poniente
en púrpuras catástrofes hacia la inmensidad
rodaban tras la augusta soberbia de tu frente
eras tú como el símbolo de la Serenidad.

En tu incesante hornalla vi la perpetua guerra,
en tu roca unidades que nunca acabarán.
Sentí en tus terremotos la brama de la tierra
y la inmortalidad de Pan.

¡Con un alma volcánica entré en la dura vida,
Aquilón y Huracán sufrió mi corazón

Momotombo

O vieux Momotombo, colose chauve et nu...
VÍCTOR HUGO

El tren iba rodando sobre sus rieles. Era
en los días de mi dorada primavera
y era en mi Nicaragua natal.
De pronto, entre las copas de los árboles, vi
un cono gigantesco, «calvo y desnudo», y
El tren iba rodando sobre sus rieles. Era
lleno de antiguo orgullo triunfal.

Ya había yo leído a Hugo y la leyenda
que Squire le enseñó. Como una vasta tienda
vi aquel coloso negro ante el sol,
maravilloso de majestad. Padre viejo
que se duplica en el armonioso espejo
de una agua perla, esmeralda, col.

Agua de un vario verde y de un gris tan cambiante,
que discernir no deja su ópalo y su diamante,
a la vasta llama tropical.
¡Momotombo se alzaba lírico y soberano,
yo tenía quince años: una estrella en la mano!
Y era en mi Nicaragua natal.

Ya estaba yo nutrido de Oviedo y de Gomara,
y mi alma florida soñaba historia rara,
fábula, cuento, romance, amor
de conquistas, victorias de caballeros bravos,
incas y sacerdotes, prisioneros y esclavos,
plumas y oro, audacia y esplendor.

Y llegué y vi en las nubes la prestigiosa testa
de aquel cono de siglos, de aquel volcán de gesta,
que era ante mí de revelación.
Señor de las alturas, emperador del agua,

INTRODUCCIÓN

Este breve estudio crítico pretende reseñar la extraordinaria trayectoria poética de Rubén Darío, y se ha estructurado en estrecha correlación con la experiencia biográfica e intelectual en su tiempo histórico. Las tres partes que constituyen esta antología de textos (verso y prosa) aspiran a poner de relieve la singularidad del hombre y el poeta.

En las dos primeras, la selección sigue un orden semántico que permitirá trazar las diferentes facetas de su evolución personal y creativa, sus lazos con Nicaragua, América Latina, España y Francia, particularmente, además de su visión del mundo y su constante búsqueda estética a través de la lengua y la literatura universal.

En la tercera ponemos énfasis en los textos vinculados a la literatura del Medio Oriente: sus preferencias, sensibilidad y el contacto con ella. La curiosidad de Rubén Darío despierta en la infancia precoz de su Nicaragua natal, se continúa a través de las corrientes europeas llamadas *de fin de siglo,* y se arraiga en la sensualidad y el misterio inherentes a dichas literaturas, afines a su espíritu artístico y a su propia vitalidad.

Esta introducción, por otra parte, debe favorecer la profundización en los ejes expuestos mediante la inclusión de citas y fragmentos de otros textos que no figuran en la antología. El lector podrá encontrar una invitación a descubrir esta poesía en lengua española, una reflexión sobre la vida y la obra del poeta, así como algunas sugerencias para seguir su lectura con claridad y placer.

ÍNDICE

Introducción 7

Poesía

Momotombo 08
Caupolicán 11
Yo soy aquel 12
A Phocás el campesino 16
Walt Whitman 17
Venus 18
Los tres Reyes Magos 19
Nocturno 20
Metempsicosis 21
El canto errante 22
La cabeza del rawí 24
A Roosevelt 29
A Francisca 31
Tutecotzimí 33
Lo fatal 39
En las constelaciones 40
Letanías de Nuestro Señor don Quijote 41
Responso a Verlaine 44
La fuente 46
¡Torres de Dios! ¡Poetas! 47
Allá lejos 48
Los motivos del lobo 49

Prosa

La ninfa 54
El pájaro azul 59
El fardo 64
El sátiro sordo 70
Palomas blancas y garzas morenas 75
El velo de la reina Mab 82
El Rey burgués 86
Historia prodigiosa de la princesa Psiquia 92
Acuarela 101

Esta publicación ha sido posible
gracias a la colaboración
de la empresa Cimex
y
de la Embajadora de Nicaragua en El Cairo
Dña. Argentina Barrantes de Yassin

RUBÉN DARÍO

Palomas blancas y garzas morenas

Antología de verso y prosa

Selección de textos,
introducción crítica y notas de
Gloriantonia Henríquez

Traducción al árabe de
Dr. Talat Shahin

Título: **Palomas blancas y garzas morenas**
Autor: **Rubén Darío**
Edición: SANABEL, El Cairo 2011
Diseño de portada: **Kamel Grapghic- El Cairo**

ISBN: 977-5634-25-3

SANABEL Editorial Hispano-Egipcia

www.sanabil.net

Palomas blancas
y
garzas morenas

Antología de verso y prosa